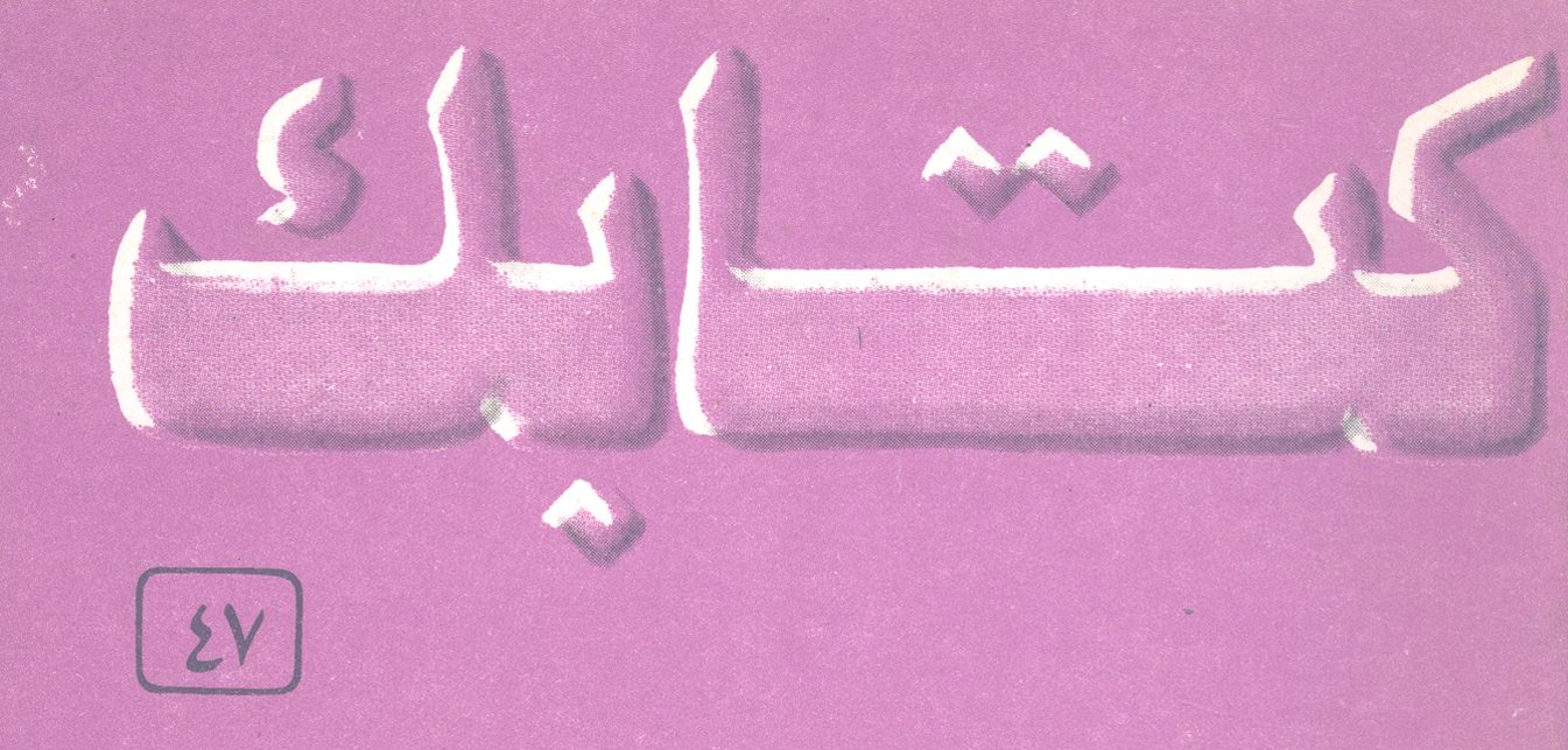


٤٧

محمّد فرج

بدر والفتح
قمة المعارك العسكرية



دار المعارف

كتابك ٤٧

رئيس التحرير أنيس منصور

محمد فرج

بدر والفتح

قمة المعارك العسكرية

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

غزوة بدر الكبرى

١

تجمع أهل المدينة على مختلف أعمارهم ومستوياتهم . الشيوخ والشباب والنساء والبنات والصبيان والأطفال يسودهم جميعا جو من القلق ؛ فقد كانوا فى انتظار رسول الله ؛ إذ جاءهم نبأ من مكة أنه عليه السلام قد غادرها ، وخرج منها هو وأبو بكر الصديق فى طريقهما إلى المدينة بعد أن أذن له الله تبارك وتعالى فى الهجرة .

واستقبل الناس فى المدينة (يثرب) — التى أصبحت بعد وصول الرسول إليها مركزا لقوته الدينية ولرسالته السماوية ، يبدأ منها جهاده الأكبر فى سبيل الله — استقبلوا رسول الله وصاحبه استقبالا فيه مودة وثقة وإخلاص وإيمان به وبرسالته ، استقبالا خفف عنه ألم فراق مكة بلده التى ولد بها ، وعاش حياته فيها ، وبدأ منها دعوته والتى خاطبها حين خروجه قائلا : « أنت أحب بلاد الله ولولا أن أهلك أخرجونى منك لم أخرج عنك ! » .

ودخل ركب رسول الله المدينة يسبقه دليله عبد الله بن أريقط الليثى وسط حفاوة بالغة وفرح زائد وسرور كبير فى الوقت الذى خيم على مكة جو من الفزع والرعب ؛ فقد كان أكثر ما تخشاه قريش أن يخرج رسول الله إلى يثرب بعد أن رأوا أصحابه قد حملوا الذرارى والأطفال إلى المدينة ،

وكانوا يعرفون أنها دار مناعة ، وأن قومها أهل قوة وبأس ؛ وكانوا يرون فى خروج الرسول إليها خطرا يتهددهم ، فهناك ستجد دعوته الجو الخصب الملائم ، فوق أن المسلمين سيجدون الفرصة مواتية لتهديد طرق مواصلاتهم إلى بلاد الشام المصدر الرئيسى والهام لرزقهم وتجارتهم !

كانت قريش قد اجتمعت فى دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأى منهم ليتشاوروا فى أمر رسول الله ، وأشار كل رجل منهم برأى ، إلى أن قال أبو جهل :

« أرى أن نأخذ من كل قبيلة غلاما نهداً جليدا ثم نعطيه سيفا صارما ، فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا يدرى بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع ؟

استحسن الناس رأيه وأجمعوا عليه ، واستعدوا للتنفيذ ، وأحاطوا بدار رسول الله ينتظرون لحظة يهجمون عليه فيها ويتخلصون منه !

وجاء جبريل رسول الله ، وأخبره الخبر ، وأمره ألا ينام فى مضجعه تلك الليلة ، وأبلغ رسول الله صديقه أبا بكر : « إن الله قد أذن لى فى الخروج » ، فقال أبو بكر : « الصحبة يا رسول الله » وأمر الرسول عليّ ابن عمه أن يبيت فى فراشه فبات فيه وتغشى برداء أحمر حضرمى كان رسول الله ينام فيه ، وخرج الرسول وأبو بكر على راحلتين كان أبو بكر قد اشتراهما من نعيم بن قشير بثمانمائة درهم ، خصصت إحداهما وهى القصواء لرسول الله .

وخرج رسول الله والقوم على الباب يرصدونه فأخذ حفنة من البطحاء وجعل يذرها على رءوسهم وهو يقرأ قول الحق تبارك وتعالى « يس والقرآن الحكيم » حتى بلغ قوله تعالى « وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » ، وجاء القوم رجل منهم يقول لهم : « خبتم وخسرتم ! قد – والله – مر بكم محمد وذر على رءوسكم التراب ! » فاقتحموا الدار ، فوجدوا عليا على فراش رسول الله فى الوقت الذى كان رسول الله وأبو بكر قد مضيا إلى غار ثور فدخلاه ، وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض .

وطلبت قريش الرسول وصاحبه أشد الطلب ، وانتهوا إلى باب الغار فقال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ، فانصرفوا ! . .

حدث أبو مصعب المكى قال : « أدركت زيد بنَ أرقم وأنس بن مالك والمغيرة بن شعبة ، فسمعتهم يتحدثون أن النبى ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت فى وجه النبى فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار. وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجلٌ ، بأسيافهم وعصيهم حتى إذا كانوا من النبى قدر أربعين ذراعا – نظر أولهم فرأى الحمامتين ، فرجع فقال له أصحابه : « مالك لم تنظر فى الغار؟ » قال « رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد ؟ » (راجع الطبقات للواقدى) .

وغادر رسول الله الغار ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع

الأول ، فعرض له سراقة بن مالك بن جعشم وهو على فرس له . فدعا عليه الرسول ، فرسخت قوائم فرسه فقال : « يا محمد ، ادع الله أن يطلق فرسى وأرجع عنك ، وأرد من ورائى » ! فاستجاب الرسول وأطلق فرسه فرجع .

ودخل رسول الله المدينة ، وكان رجل من يهود يرقب الطريق فصاح ينبه أهل المدينة : « يا بنى قيْلة هذا صاحبكم قد جاء ! » .

٢

لم تكن هجرة الرسول إلى المدينة هى أول هجرة فى تاريخ الإسلام ؛ فقد سبقتها هجرات أخرى قام بها بعض من أوائل المسلمين : فعندما كثر المسلمون وظهر الإيمان ثار كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم ، فعذبوهم وسجنوهم ، وأرادوا فتنتهم عن دينهم ، وتعرضت هذه الفئة القليلة المؤمنة لصنوف من العذاب والأذى والتمثيل ، وقد روت كتب التاريخ ما لاقاه بلال على يدى سيده أمية بن خلف ، وما لاقاه عمار بن ياسر وأمه وأبوه على يد بنى مخزوم من التعذيب الوحشى الذى فاق حد التصور وخرج عن حدود الإنسانية والإحساس البشرى !

وكان لابد لرسول الله من أن يحمى قومه ، ولكن كيف له ذلك والمسلمون قلة لا يملكون إلا الصبر ولا يقدرون إلا عليه ؟ ورأى رسول الله

أن يتفرق قومه فى الأرض ، فقال لهم « تفرقوا فى الأرض » فسألوا « أين نذهب؟ » ، قال « هاهنا – وأشار إلى الحبشة – فإن بها ملكاً لا يُظلَم عنده أحد وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه » .

وهاجر ناس من المسلمين خرجوا متسللين سرا ، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، حملتهم سفينتان للتجار الى أرض الحبشة ، وتبعتهم قريش إلى شاطئ البحر . فلم تدرك منهم أحدا ، وحدث المهاجرون :

« قدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار : آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ! » .

ثم خرجت دفعة أخرى من المسلمين بإذن من رسول الله حين اشتد عليهم قومهم ، وقست عليهم عشائرهم ، ولقوا منهم أذى شديدا . وود عثمان بن عفان أن يصحبهم رسول الله ، فقال له : « يا رسول الله ، فهجرتنا الأولى ، وهذه الآخرة إلى النجاشى ولست معنا ؟ » فقال الرسول : « أنتم مهاجرون إلى الله وإلى » . . وكان عدد من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب .

وقد أغضبت الهجرة قريشا ، فشددت قبضتها على المسلمين ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين ، ونالهم منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله واستأذنوه فى الهجرة فقال : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين ،

ولو كانت المرأة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى » ، ثم مكث عليه السلام أياما ثم قال لأصحابه : « لقد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها ! » .

وأخذ القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون وهم يخفون ذلك ، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله (أبو سلمة بن عبد الأسد) ثم عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حشمة ، ثم قدم أصحاب رسول الله فنزلوا على الأنصار فى دورهم ، فآووهم ونصروهم وآسوهم !

٣

لم يختلف اثنان فى أن انتقال الرسول من مكة إلى المدينة كان حدثا له أصداؤه البعيدة فى حياة الإنسانية كلها ، كان حدثا وضعت العناية الإلهية أبعاده ، ورعته حتى كان نقطة تحول فى تاريخ البشرية ، ابتدأ من عنده التاريخ ، وبه تكون أعظم مجتمع حقق للإنسان الكرامة والكمال والرقى .

ولم يختلف اثنان أيضا فى أن انتقال الرسول من مكة إلى المدينة كان يعنى أن الصراع بين الإسلام ويمثله المسلمون الأوائل وبين عبادة الأوثان ويمثلها أهل قريش قد دخل مرحلة جديدة تدل كل معالمها على أنه سيكون صراع مواجهة : أعنى أن الطرفين كانا يسيران فى طريق يؤدى بهما

إلى حالة حرب تلتقى فيها القوتان وجها لوجه ، ويسعى كل طرف إلى أن يعزز موقفه وأن يدحر الطرف الآخر .

ولم يختلف اثنان فى أن وجود المسلمين فى المدينة فوق أنه يهيئ لهم الجو المناسب لنشر دعوتهم ، وللاتصال بالقبائل الأخرى وعرض الدين الجديد عليهم – يمثل خطراً كبيراً على مصالح قريش الاقتصادية ، لأن المدينة على طريق التجارة من مكة إلى الشام ، والتجارة هى العماد الأول لاقتصاديات قريش فهى مصدر أموالهم وثرواتهم ، وتهديد طريق التجارة يعطل سيرها وانتقالها ، ويُفقد قريشاً الوسيلة للحصول على المال والثروة التى هى أساس حياتهم ومصدر قوتهم وأساس سلطانهم ! ولقد فرضت مصالح قريش الاقتصادية عليهم أن تعد نفسها لحماية الطرق ولحراسة القوافل ولضمان سلامة التجارة الذاهبة إلى الشام والعائدة منها .

من خلال هذه المعانى بدأ الاستعداد فى المدينة وفى مكة انتظارا للحظة التصادم العسكرى ، وشهدت المدينة موجة من النشاط وانطلاقا قويا وتطورا سريعا فى المشاعر والأحاسيس فى ضوء المفاهيم والمبادئ الإسلامية التى كانت أساسا لدولة الإسلام العظيمة الخالدة .

وظلت قريشٍ فى مكة ترقب الأحداث فى حذر ، وتنتظر فرصة اللقاء ، وتعد نفسها ليوم ترجو فيه أن تحقق نصرا أكيدا على المسلمين ، فتقيم دعوتهم وتنهى صولتهم وتبقى الأمور فى الجزيرة كما يريد أسياد مكة ورجالاتها !

٤

كانت أول خطوة اتخذها الرسول فى المدينة إقامة مسجد فى الموقع الذى بركت فيه ناقته ، وهو مكان لسهل وسهيل وهما غلامان يتيمان من الأنصار ، أرادا أن يهباه لرسول الله ، ولكنه عليه السلام أبى وطلب شراءه ، ودفع ثمنه عشرة دنانير ، وكان بالموقع قبور جاهلية أمر الرسول بها فنبشت ، ونخلٌ أمر الرسول أن يقطع ، وعظام أمر عليه السلام أن تغيب ، ثم أسس المسجد باللبن ، وشارك الرسول الكريم فى بنائه والمسلمون من حوله يرددون :

لاهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وينشدون أيضاً :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ، ربنا وأطهر

وأقام الرسول فيه الصلاة ، واتخذ الكعبة قبلة له بدلا من بيت المقدس ، وأصبح مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى : قال رسول الله : « من توضأ فأسبغ الوضوء ، ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة » وكان عمر يأتيه يوم الاثنين والخميس يقول : « لو كان بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل ! »

وكان أبو أيوب الأنصارى يقول : « هو المسجد الذى أسس على التقوى » وكان أبو كعب وغيره يقولون « هو مسجد رسول الله ».

فى هذا المسجد كان المسلمون يجتمعون يؤدون شعائر دينهم ، ويلتقون ورسول الله يقرأ عليهم القرآن ويتلو عليهم ما ينزل من آيات الله تبارك وتعالى ويعلمهم الدين ويفقههم ، ويعرضون مشاكل مجتمعهم الجديد ، ويبحثون أمور دينهم ودنياهم ، ويضعون الخطوط العريضة لحياتهم المستقبلة ، ويتدارسون موقف أعدائهم ، ويقررون أسلوب مواجهتهم .

٥

كان المجتمع الإسلامى فى المدينة يتكون من الأنصار– وهم أهل المدينة أصلا – والمهاجرين وهم أهل مكة الذين تركوا بلدهم قبل وبعد رسول الله ليقيموا حوله ويعيشوا بجانبه يتلقون منه مبادئ الدين ويتعلمون على يديه أصول الإسلام ، ويحمونه ويذودون عنه إذا تطلب الأمر حماية أو ذودا .

وكانت العلاقة بين المهاجرين والأنصار علاقة جديدة حديثة ، فلم يكن هناك تنظيمٌ لهذه العلاقة أو أسس تقوم عليها ، ولهذا استلزم الأمر عقد صلة أخوة بين الفئتين ؛ لتصبحا فئة واحدة مترابطة تتمثل فيها قوة الإسلام . .

فقد ترك المهاجرون بلادهم وممتلكاتهم وأموالهم ، وجاءوا إلى المدينة والكثير منهم لا يجد قوته ، وفرض هذا الوضع على الأنصار واجب استقبالهم ، وإفساح مكان لهم ، وتقديم العون ، وعدم التبرم بوجودهم ، وإشعارهم بأنهم إخوتهم فى الله !

ورأى رسول الله فى تقارب الفئتين واندماجها فى مجتمع واحد أمرا واجب الأداء والتنفيذ ، فدعا إلى أن يتآخى الجميع فى الله أخوين أخوين . .

حدث موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه : « لما قدم رسول الله المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم وبعض ، وآخى بين المهاجرين والأنصار : آخى بينهم على الحق والمواساة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام » .

ونشير إلى أنه لما كانت موقعة بدر نزل قول الحق تبارك وتعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شيء عليم [١] » وقد نسخت هذه الآية ما كان قبلها ، وانقطعت المؤاخاة فى الميراث ، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذو رحمه .

كانت الأوس والخزرج تمثلان جانبا من المجتمع الإسلامى فى المدينة ، ووقع الخلاف بينهما وحدث صدام شديد بين القبيلتين ، وشهدت يثرب صراعا مريرا بينهما كان آخره يوم بعاث .

---

(١) الأنفال / ٧٥

وكان لابد فى ظل الإخاء الإسلامى أن تنسى القبيلتان ما كان بينهما من خلاف ، وأن تجتمعا تحت راية الإسلام ؛ لتكونا قوة تحميه ، وتصد عنه ، وتجاهد فى سبيله .

واهتم الرسول بموقف القبيلتين اهتماما بالغا ، وكان اتحادهما شغله الشاغل فى أول عهده بالمدينة ، فدعا إلى أن تكونا جبهة واحدة وقوة متضامنة . وأن تنسى القبيلتان ما بينهما من خلافات وعداوات ، ولبى رجالها دعوة الرسول وبدءوا صفحة جديدة تقوم على الحب والرضا والتعاون والتضامن تحت راية الإسلام ، ونسوا كل ما كان بينهم من خلاف حتى إن اليهود – وقد أزعجهم هذا التضامن – حاولوا أكثر من مرة أن يوقعوا بين الطرفين ، وأن يفسدوا ما بينهما إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل بعد أن ألف الإسلام بينهما وجعلهما إخوانا متحابين .

هكذا أصبحت المدينة قوة صامدة متكتلة فى إخاء كان الأول من نوعه بين جماعات البشر يدين أهلها بالإسلام ويتمثلون برسول الله ويعيشون فى حدود تعاليم القرآن ومنهجه .

٦

كان بعض اليهود يقطنون المدينة ، ولما كانت الأوس والخزرج تمثلان قوة عربية كبيرة فى المدينة -- كان اليهود يسعون إلى أن تكون لهم قوة

ونفوذ ، ولهذا عملوا فى التجارة ، ليجمعوا المال ، ويشتروا السلاح أملا فى أن تكون المدينة لهم ، وأن تكون السلطة فى أيديهم ، وأن يكون الحكم ملكا لهم وأن تسود كلمتهم وتكون لهم الغلبة ! . ومن أجل هذا أيضا كانوا يسعون إلى إيجاد الفرقة بين القبائل العربية التى تسكن المدينة لتتقاتل فتهن قوتها – الغالب والمغلوب – وتبقى قوتهم على حالها !

وسعوا أيضا إلى السيطرة على سوق التجارة والمال ، وكان لهم فى الميدانين باع طويل ، وجنوا منها مالا كثيرا ، وكان اليهود يتطلعون إلى الإسلام فى خوف ، ويتتبعون أخباره فى قلق ، فلما عرفوا أن رسول الله فى طريقه إلى المدينة تملكهم الرعب ، ولكنهم كانوا أبعد نظرا ، فلم يظهروا عداوتهم ، وإنما أخفوها لوقت مناسب !

ولا شك فى أنهم كانوا يرون فى استقرار الإسلام بالمدينة خطرا يهدد وجودهم ، ومع ذلك فقد حرصوا على أن يكون استقبالهم للرسول استقبالا حسنا ، فشاركوا فى الاستقبال ، ورحبوا بمقدم الرسول ، وحفظ لهم الرسول هذا الموقف ، وذكره ، ثم عرض عليهم الموادعة والمحالفة ، فوافقوا وعقدوا مع الرسول معاهدة حسن جوار ، وكان الرسول متحمسا لهذه المعاهدة رغبة فى توثيق صلات المسلمين بهم ، وإقامة مودة بين المسلمين وبينهم باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون .

ومن زاوية أخرى ، كانت هذه المعاهدة خطوة ذات معنى كبير ، فإن رسول الله كان يدرك أن لحظة الصدام مع قريش قد قربت ، ولم

يشأ عليه السلام أن يشغل المسلمين فى جبهتين فى وقت واحد ، ولهذا رأى أن يسالم اليهود حتى يفرغ من كفاحه المنتظر ضد قريش ، وحتى تتهيأ له عليه السلام البيئة الخصبة لنشر رسالته ، ولم يشأ رسول الله أن يدخل فى صراع مع اليهود وهو على أول الطريق ينشد نشر الدعوة ، ولم يكن من المصلحة القتال فى أكثر من جبهة .أو الصدام مع أكثر من طرف .

عرض رسول الله على يهود المدينة المعاهدة ، فوافقوا عليها ، واستجابوا لدعوة الرسول أملا فى كسب الوقت وانتظارا لما يسفر عنه المستقبل ، فقد كانوا يدركون أن قريشا ستتحرك قريبا ضد المسلمين لتنقض عليهم .

وربط رسول الله بينه وبينهم برابطة المودة ، وكان عليه السلام يتحدث إلى رؤسائهم ويبادلهم شعورا طيبا ، وأقرهم الرسول على دينهم وأموالهم ، ونص على ذلك فى المعاهدة : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » .

وعاش المسلمون مع اليهود فى ضوء ما قررته هذه المعاهدة السياسية التى وضعها رسول الله منذ نحو ألف وثلثمائة وتسعين سنة .

واستجاب يهود بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع إلى دعوة أخرى من جانب الرسول لعقد معاهدات تشبه معاهدة المسلمين مع أهل المدينة من يهود ، وبذلك أصبحت المدينة وما وراءها حرما لأهلها ، عليهم أن

يدفعوا كل عادية عليها ، وأن يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررته الوثائق والمعاهدات من الحقوق ومن كل صور الحرية ، حرية العقيدة وحرية الرأى .

طاب رسول الله نفسا بهذه النتيجة ، وسكن المسلمون إلى دينهم لا يخافون أذى ولا يخشون فتنة .

٧

بقيت قريش فى مكة ترقب حركات المسلمين فى المدينة ، ورصدت العيون تأتيها بأخبارهم وأنبائهم ، ووصلتها أخبار التطور الذى شمل المجتمع الإسلامى هناك ، وعرفت التآخى الذى تم بين المهاجرين والأنصار ، والتصالح الذى تم بين الأوس والخزرج ، ومعاهدات الصداقة التى وقعت بين المسلمين واليهود .

وكان لابد من أن تصلهم أنباء تشير إلى ازدياد قوة المسلمين ، ولهذا أمر رسول الله بخروج عدد من الدوريات المسلحة التى سميت فى عهده عليه السلام بالسرايا .

وكان لهذه السرايا أهداف متعددة يأتى فى أولها إشعار قريش بما أصبح عليه المسلمون من قوة حتى تخشى مواجهتهم وحتى تخفف من عدائها للإسلام ، وترفع يد الإرهاب عن المسلمين الباقين فى مكة

والذين تعذرت عليهم الهجرة لأسباب مختلفة . .

فقد أصبح فى استطاعة المسلمين عن طريق هذه السرايا تهديد طريق القوافل الذى هو فى نظر قريش أمر حياة أو موت ، لأن مكة تعيش على التجارة . فهى واد غير ذى زرع تعتمد فى حياتها أساسا على قوافل التجارة التى تخرج منها إلى بلاد الشام ، وبذلك أصبح زمام الموقف فى يد المسلمين يستطيعون أن يسمحوا بمرور القوافل وأن يمنعوه . والسماح والمنع يتوقفان على سلوك قريش تجاه الإسلام والمسلمين .

ويأتى بعد ذلك هدف آخر هو عقد معاهدات ومحالفات مع القبائل التى تعيش حول المدينة وخاصة تلك التى تسكن المنطقة ما بين المدينة وشاطئ البحر الأحمر حتى يفرض المسلمون سيطرتهم الكاملة على هذا الطريق .

وكان إرسال هذه السرايا يهدف أيضا إلى إيقاع الرعب فى قلوب يهود المدينة وغيرهم ممن لم يدخل الإسلام قلوبهم لينكمشوا فى داخل المدينة دون تفكير فى عمليات ضد المسلمين .

ولا شك فى أن هذه السرايا كانت ترمى فوق كل أهدافها السابقة إلى رفع روح المسلمين المعنوية ، فتؤهلهم نفسيا لأى لقاء فى المستقبل .

وكان خروج هذه السرايا يعنى شيئا عسكريا هاما هو أن يلم أفرادها بطبيعة الأرض التى تحيط بالمدينة ، وهى الأرض التى سيجرى فوقها أى صدام مسلح مع قريش أو مع غيرها من أعداء الإسلام . ومعرفة الأرض

ودراسة طبيعتها وقت الحرب أمر بالغ الأهمية والخطورة ، ولهذا تبذل القيادات المختلفة فى عصرنا الحديث جهودها لدراسة أرض المعارك قبل خوض غمارها ، وذلك عن طريق الكشف بدوريات خاصة هى دوريات الاكتشاف التى كانت تسمى على عهد رسول الله «العيون» .

وكانت أول سرية فى الإسلام هى سرية حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم عم رسول الله : خرج فى ثلاثين رجلا من المهاجرين فى شهر رمضان ، وحمل لواءها الأبيض أبو مرثد كناز بن الحصين حليف حمزة ، وكان هدف السرية اعتراض عير لقريش جاءت من الشام فى طريقها إلى مكة وفيها ابن هشام فى ثلثمائة رجل ، وبلغت السرية سيف البحر (أى ساحله) من ناحية العيص ، واستعد الطرفان للقتال لولا أن تدخل مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفا للفريقين ، فمنع القتال ، وانصرف حمزة وأبو جهل كل إلى بلده .

وخرجت بعد ذلك سرايا كثيرة ، وكان الخارجون فيها من المهاجرين دون الأنصار ، لأن هؤلاء كانوا قد شرطوا على رسول الله أن يمنعوه فى داره فقط ، وكانت السرايا فرصة للمهاجرين حتى يلموا بطبيعة الأرض من زاوية وحتى ترتفع معنوياتهم من زاوية أخرى .

ومن أهم هذه السرايا سرية عبيدة بن الحارث : خرج ومعه لواء أبيض على سرية من ستين أو ثمانين من المهاجرين حتى بلغ ماء بالحجاز إلى بطن رابغ بأسفل ثنية المرة ، فوجد عندها جماعة من قريش يبلغ

أفرادها المائتين عليها عكرمة بن أبي جهل ، ولم يقع بين الطرفين التحام ، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم . فكان أول من رمى فى الإسلام بسهم ، وكان يزهو بذلك ويقول : « إنى لأول المسلمين رمى المشركين بسهم » .

وأدت شجاعة سعد إلى خروجه على رأس سرية فى ثمانية من المهاجرين على لواء أبيض كان يحمله المقداد بن عمرو ، ووصلت السرية إلى الخرار – وهو مكان حدده رسول الله وأمر ألا تتجاوزه السرية – وكان هدف السرية عيراً لقريش قيل : إن قائدها كان « أبو سفيان بن حرب » وقيل : إنه كان مكرز بن حفص وكانت العير قد سبقت السرية فلم تلتقيا : قال سعد : « خرجنا على أقدامنا ، فكنا نكمن نهارا ونسير ليلا حتى صبحناها صبح خمس ، فنجد العير قد مرت بالأمس ، فانصرفنا إلى المدينة » .

ثم كانت سرية عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى ومعه ثمانية رجال من المهاجرين ، كانوا من أمثل أصحاب رسول الله طاعة وشجاعة ، وسلم رسول الله لعبد الله رسالة مقفلة وأمره ألا يفضها حتى يسير يومين فى اتجاه معين حدده له ، ثم ينظرها وينفذ ما بها دون أن يستكره أحدا من أصحابه ؛ فلما فتح الرسالة وجد فيها : « إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم » .

والتقت السرية وعير عليها رجل يدعى عمرو بن الحضرمي ومعه أخوان من بني مخزوم هما عثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل ومعهما مولى لبني مخزوم هو الحكم بن كيسان ، وكان اللقاء في آخر يوم من شهر رجب ، ورجب شهر حرام ، وقاتل أفراد السرية وقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا رجلين والعير ، وغضب المسلمون لوقوع القتال في شهر حرم فيه . فأساءوا إلى عبد الله وصحبه ، واتخذت قريش القتال فرصة للتشهير بالمسلمين واتهامهم بأنهم استحلوا حرمة الشهر . وانتهكوا الحرمات وسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال ! وطرب اليهود إذ سنحت لهم فرصة الدس والوقيعة فأخذوا يشعلون نار الفتنة !

وبقي الرسول والمسلمون في قلق وضيق ، حتى نزل قول الحق تبارك وتعالى :

« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١)

وشارك رسول الله في هذا الخروج ، فخرج حتى بلغ بواط ليعترض طريق قافلة عليها أمية بن خلف ومائة رجل من المشركين وألفان

---

(١) البقرة/٢١٧ .

وخمسمائة بعير ، إلا أنها سبقت ونجت ، ثم خرج الرسول مرة ثانية حتى بلغ العشيرة حيث عقد معاهدة مع بنى مدلج ، ثم خرج فى طلب كرز بن جابر الفهرى القرشى وكان قد أغار على أطراف المدينة ، ووصل حتى وادى سفوان ففر كرز .

ولقد حققت هذه السرايا أغراضها ، مما كان له أكبر الأثر حين وقع أول صدام مسلح بين المسلمين وقريش فى بدر .

٨

ومن عجب أن قريشا لم تدرك الهدف الأسمى من وراء نقل مركز الدعوة الإسلامية من مكة إلى المدينة بدليل أنها استمرت فى غيها ، ولم يفكر رجالها وكبراؤها فى محاولة للتفاهم مع المسلمين ، ليتركوا دعوة الله تشق طريقها ويتركوا الناس أحرارا يقبلون الدعوة أو يرفضونها ، يدخلون فى الإسلام أو يأبون الدخول فيه !

واستمرت قريش فى غيها تعتقد أنها بنفوذها تستطيع أن تعرقل سير الدعوة وأن توقف تيارها ! هذا على حين كان المسلمون يعدون عدتهم للقاء منتظر دون أن يعرفوا موعده أو مكانه .

ومعنى هذا أن الطرفين كانا يسيران فى طريق الصدام المسلح : طرف يسعى إلى إخماد جذوة الدعوة الإسلامية وإلى الإبقاء على سلطانه ونفوذه

ومكانته ، وطرفٌ آخر يسعى إلى نشر نور الله فى الأرض ولو كره الكافرون ، وجاءت لحظة الصدام مصادفة ، لم يعدّ أحد من الطرفين نفسه لها !

بلغ رسول الله أن قريشا جمعت أموالها للتجارة بعد سرية عبد الله ابن جحش ، ولم يبق أحد من أهل مكة إلا وقد اشترك فيها على قدر ما يطيقه حتى قدر ما جمعته بعشرات كثيرة من ألوف الدنانير ، ولم تتخلف عن الاشتراك فى تجارتها بطون كعب بن لؤى كلها وهم من تتألف منهم قريش – مكة كلها – وحملت هذه التجارة على ألف بعير عليها أبو سفيان ابن حرب بن أمية ، وهو رجل حذر داهية يُعتمد عليه ، وكان معه ثلاثون أو أربعون من الرجال الأشداء كعمرو بن العاص وهو مشهور بالدهاء ، ومخرمة بن نوفل وكان سليط اللسان ،

قرر رسول الله أن يعترض طريق القافلة ، وأن يستولى عليها رغبة فى تعويض المسلمين المهاجرين عن أموالهم وممتلكاتهم التى تركوها فى مكة تحت ضغط قريش ، إلا أن القافلة مرت ، وبلغت بلاد الشام ، فاستقر رأى الرسول عليه السلام على اعتراض عودتها وقدر زمن ذهابها وعودتها بثلاثة أشهر ، ولهذا بعث العيون لمراقبة الطريق لمعرفة وقت اقترابها من مواقعه .

وقيل : إنه لما تبين لرسول الله انصراف العير من الشام بعث طلحة ابن عبيد الله التيمى وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يتحسسان خبر

العير ، فبلغا أرض الحوراء ، فنزلا على كشد الجهنى ، فأجارهما وأنزلهما ، فلما لاحت العير أسرعا إلى المدينة ، ليخبرا رسول الله .

وأرسل الرسول اثنين من الصحابة هما بسبس بن عمرو وعدى ابن الزغباء ، ليجمعا معلومات عن القافلة ، فنزلا بدرا حيث سمعا جاريتين من جوارى العرب تتخاصمان ، وتطلب إحداهما من الأخرى دينا لديها ، فقالت لها : « إنما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لها ، ثم أقضيك الدين » وأيدها فيما قالت عربى يدعى مجدى بن عمرو ، فلما سمع مبعوثا الرسول ذلك عاد إليه وأخبراه .

كان رسول الله قد قدر أن يصل أبو سفيان وقافلته إلى الشام ، ثم يعود بها مارا ببدر فى خلال ثلاثة أشهر ، وخاف أن تفلت القافلة مرة أخرى ، فندب المسلمين إلى الخارج قائلا : « هذه عير قريش فيها أموالهم لعل الله أن ينفلكموها » .

وخرج رسول الله فى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، وضرب عسكره ببئر أبى عتبة (وهىَ على بعد ميل من المدينة) ، ولم ينتظر أن يخرج كل القوم معه ، وخاصة أولئك الذين يسكنون عوالى المدينة وأغلبهم من الخزرج حرصا منه على الوقت والفرصة وقال لصحبه « لا يتبعنا إلا من كان بعيره حاضرا » .

وواضح أنه عليه السلام لم يكن يهتم بالجمع والحشد ، والكثرة العددية ، لأنه كان يريد العير فقط وهى لا قوة لها ولا شوكة ، لأنها فى

حراسة ضعيفة لا تحتمل قتالا ولا تصل إلى مستوى معركة ، هذا فوق أنه عليه السلام لم يكن ليبغى قتالا ، ولم يبيت النية عليه .

عرض رسول الله اصحابه ورد من استصغر مثل عمير بن أبى وقاص وحارثة بن سراقة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأسامة بن زيد ورافع ابن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد ابن ثابت ، وكان مع الرسول عند خروجه فرسان للزبير بن العوام والمقداد ابن عمرو (قيل فى بعض المراجع : إن أحدهما كان لمرثد بن أبى مرثد) وسبعون راحلة ، وكان الخارجون يتعاقبون الركوب عليها ، وكان الرسول يتعقب بعيره ويتبادله وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد .

خرج مع رسول الله ثلثمائة وخمسة كان منهم أربعة وسبعون رجلا من المهاجرين والباقى من الأنصار ، وتخلف عن الخروج عثمان بن عفان لمرض امرأته رقية بنت رسول الله ، فأقام عليها حتى ماتت .

٩

شعر أبوسفيان وهو فى طريق العودة أن عيونا ترصده ، فأقبل حتى ورد بدرا ، فلقى هناك مجدى بن عمرو فسأله : « هل أحسست أحدا من عيون محمد ؟ » فأجابه « والله ما رأيت أحداً أنكره إلا راكبين أتيا إلى هذا المكان » وأشار إلى المكان الذى نزل فيه بسبس وعدى ، فجاءه

أبو سفيان وفحص روث الإبل فوجد فيه نوى فقال : « علائف يثرب ! هذه عيون محمد » ثم عاد إلى القافلة وغير طريقها وانطلق فى اتجاه الساحل ، وأسرع فى مسيره حتى بعد ما بينه وبين المسلمين .

غير أنه كان قد استأجر رجلا يدعى ضمضم بن عمرو ، وبعثه إلى مكة يستصرخ أهلها لإنقاذ العير ، ووصل ضمضم إلى مكة فقطع أذن بعيره ، وجدع أنفه ، وحول رحله ، ووقف عليه ، وشد قميصه من قُبل ومن دُبر ، ونادى فى القوم : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، ولا أرى أن تدركوها فالغوث . . الغوث . .

وأثارت هذه الضجة المسرحية مشاعر أبى جهل فأسرع إلى الكعبة يدعو الرجال إلى الخروج ويقول : « أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ كلا والله وليعلمن غير ذلك » .

واستجابت الجموع لصرخات أبى سفيان وخرج ألف رجل يحملون سلاحهم ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير فى اليوم الثامن والعشرين من شعبان وهم يستعرون بنار الحقد ، ويندفعون وراء شياطين الغدر والانتقام ! وجدّ أشراف مكة وزعماؤها فى السير بالناس أملا فى إنقاذ القافلة قبل أن تقع فى قبضة محمد وأصحابه !

تخلف عن الخروج أبو لهب فأرسل مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وفاء لدين كان على العاص لدى أبى لهب ، وأراد أمية بن خلف أن

يتخلف ويقعد عن الخروج لكبر سنه وضعف جهده إلا أن أبا جهل وعقبة بن أبى معيط سخرا منه ، فوضع عقبة بين يديه مجمرة فيها بخور وقدم له أبو جهل مكحلة ومروداً ، قائلاً : يا أبا على استجمر . فإنما أنت من النساء ! » و« اكتحل أبا على فإنما أنت امرأة ! » ولم يتحمل الرجل قولها فقال : ابتاعوا لى أفضل بعير فى الوادى ، وخرج معهم ، وخرج أيضا كل قادر بعد أن اطمأنت قريش إلى أن بنى بكر (من كنانة وكان بينها خلاف) لن تهاجمها من خلفها ، إذ وعدها مالك بن جشعم المدلجى (وهو من أشرف بنى كنانة) بأن تقف بنو بكر إلى جانبها : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه !

علم أبو سفيان بعد أن نجا بالقافلة بخروج قريش فبعث إليهم يقول ؟ « إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا » .

ورأى كثير وقد نجت تجارتهم، أن يعودوا من حيث أتوا وأن يتركوا المسلمين يعودون دون أن يحققوا هدفهم أو يصلوا إلى غايتهم . . ولكن أبا جهل رفض هذه الدعوة وأصر على ملاقاة المسلمين وصاح فى الناس : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثا ، ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

وتردد الناس : بعض يرى رأى أبى جهل ، وبعض يرى العودة ،

وقد عاد فعلا بنو زهرة استجابة لدعوة الأخنس بن شريق ، وكذلك عاد بنو عدى .

١٠

كان خروج قريش فى هذا العدد الكثيف والعدة المتوفرة ذا أثر على ميزان القوى فى بدر ، ولم يشأ رسول الله أن يواجه الموقف وحده ، بل شارك رجاله وأصحابه فى الرأى : هل يواجهون جموع قريش وهم أقل منهم عددا وعدة ، أو ينسحبون إلى المدينة ويعودون أدراجهم ؟

ناقش رسول الله الموقف ، وقدر كل ظروفه ، وبحث طرق الحل المفتوحة أمامه ، فوجد أن أمامه حلين لا ثالث لهما وأن أحلاهما مر :

كان الحل الأول أن ينسحب برجاله إلى المدينة وأن يتجنب لقاء قريش .

وكان الحل الآخر أن يواجه قريشا . . وكان لكل حل عيوبه ومزاياه .

فالحل الأول يلزم المسلمين الانسحاب السريع العاجل قبل أن تقطع قريش عليهم خط الرجعة ، هذا فوق أن الانسحاب له مضاره ، فهو قد يشجع قريشا على التقدم إلى المدينة وقهر المسلمين فى عقر دارهم ، وفى هذا خطر داهم على الإسلام والمسلمين ، كما أن الانسحاب قد يشجع

يهود المدينة على مهاجمة المسلمين أملا فى استعادة مركزهم ، هذا فوق أن الانسحاب يؤدى دون ريب إلى انخفاض روح المسلمين المعنوية وتدهورها لظهورهم بمظهر الضعف والخور.

وكان الحل الآخر فيه بعض الخطورة ، لأن جيش المسلمين لا يتناسب عددا وعدة وجيش قريش الذى يتميز بالكثرة فى العدد والوفرة فى السلاح ! ورأى رسول الله أن يعرض الأمر على المسلمين ، ليعرف رأيهم ، فدعا المهاجرين والأنصار إلى اجتماع ، وعرض عليهم الموقف بأكمله ، وطلب رأيهم : « أشيروا على أيها الناس » .

وتكلم أبوبكر وتكلم عمر ، ثم قام المقداد بن عمرو نيابة عن المهاجرين وقال رأيهم : « يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ! والذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك حتى تبلغه » ، وسعد الرسول برأى المهاجرين وانتظر رسول الله رأى الأنصار فوقف سعد بن معاذ يعلن باسمهم : « أنا أجيب عن الأنصار : فامض يا نبى الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، فإنا لصُبُرٌ فى الحرب صُدُقٌ فى اللقاء ، فلعل الله يريك منا ما تقر

به عينك ، فسر بنا يا رسول الله على بركة الله تعالى » .

وسعد رسول الله برأى الأنصار ، فقال مخاطبا المسلمين جميعا :
« سيروا وأبشروا ، فإن الله عز وجل قد وعدنى إحدى الطائفتين ، ووالله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ! » .

١١

لم يبق من القتال مفر .

وتولى رسول الله بصيفته قائد جيش المسلمين إعداد جيشه للمعركة القادمة .

وأخذ الرسول ينظم قواته ويرتبها : أعد ألوية : لواء للمهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء للخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء للأوس مع سعد بن معاذ ، وجعل رسول الله لكل جماعة شعارا : فكان شعار المهاجرين « يا بنى عبد الرحمن » ، وشعار الخزرج « يا بنى عبد الله » ، وشعار الأوس « يا بنى عبيد الله » وكان فى مقابل هذه الألوية ألوية ثلاثة للمشركين : لواء يقوده أبو عزيز بن عمير ، ولواء يقوده النضر بن الحارث ، ولواء يقوده طلحة بن أبى طلحة والقادة الثلاثة من بنى عبد الدار .

نزل رسول الله مع أصحابه أدنى بدر فى ليلة الجمعة لسبع عشرة

مضت من رمضان ، وبعث جماعة استطلاع تتكون من على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص تجمع الأخبار عن قريش ، فعادت الجماعة ومعها غلامان هما أسلم وأبو اليسار ، غلامان لبنى الحجاج وبنى العاص ، وبدأ رسول الله استجواب الغلامين ، ودار بين الجميع الحديث التالى :

الرسول – أين قريش ؟

– خلف هذا الكثيب الذى تراه

– كم هم ؟

– كثير

– كم عددهم ؟

– لا ندرى !

– كم ينحرون ؟

يوما تسعا ويوما عشرا

وقال الرسول لأصحابه : « القوم بين الألف والتسعمائة » وصدق رسول الله فى تقديره لقوة عدوه لأنها كانت فعلا تسعمائة وخمسين .

قلنا : إن رسول الله نزل بأصحابه عند ماء بدر إلا أن واحدا من المسلمين هو الحباب بن المنذر بن الجموح اعترض على هذا الموقع ، وكان له رأى آخر فسأل الرسول : « يا رسول الله ، أمنزلا أنزلكه الله ، فلا نستطيع أن نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ »

فأجابه الرسول : « بل الرأى والحرب والمكيدة ؟ » فقال الحباب :« إن هذا المكان الذى أنت فيه ليس بمنزل يا رسول الله ! انطلق بنا إلى أدنى ماء من القوم فإنى عالم بها وبقلوبها . بها قليب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح ، ثم نبنى عليه حوضا فنشرب ونقاتل ونغور ما سواه من القلب » ، واستحسن رسول الله رأى الحباب فأمر بتنفيذ ما أشار به .

عن ابن عباس « أن رسول الله نزل منزلا يوم بدر فقال الحباب ابن المنذر : ليس هذا بمنزل ، انطلق بنا إلى أدنى ماء من القوم ، ثم نبنى عليه حوضا ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغور ما سواها من القلب ، قال : فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله فقال : الرأى ما أشار به الحباب ابن المنذر ، فقال رسول الله : يا حباب أشرت بالرأى ! » وإن قبول رسول الله لما أشار به الحباب يؤكد جانبا هاما فى حياة الإسلام والمسلمين ، فالرسول الكريم لم يشأ أن ينفرد وحده بالرأى فى موضوع عسكرى تتطلب طبيعته الاستماع إلى آراء مختلفة ، والرسول بذلك يكون قد وضع مبدأ جديداً من مبادئ الحرب ، وهذا العمل من جانب الرسول يؤكد بعد نظره وعمق فهمه للأمور وإدراكه لمسئوليته!

ولقد حرصت القيادات العسكرية فى عهود ما بعد الإسلام على تشكيل هيئة أركان الحرب ، لتضع أمام القائد معلوماتها وآراءها فى الموقف العسكرى من مختلف نواحيه وزواياه ، وإن القيادات تعطى اهتماما بالغا كُلَّ ما يقدم إليها من هيئة الأركان بصفتها تتشكل من مستشارين

مختصين فى أمور المعركة كلها .

عرض سعد بن معاذ على رسول الله : « يا رسول الله ، نبنى لك عريشا من جريد تكون فيه ، ونعد لك ركائبك ، ثم نلقى عدونا . فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبا منها ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك » .

وقبل رسول الله وبنى العريش ودخله الرسول ومعه أبوبكر الصديق ، وقام على بابه سعد بن معاذ متوشحا بالسيف . وكان هذا العريش يمثل مركز القيادة الإسلامية فى المعركة ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستخدمه ، لأنه وهو أسوة حسنة للمسلمين أراد أن يشارك فى المعركة وأن يسهم فيها وأن يديرها عن قرب إيمانا منه بأن القيادة يجب أن تعيش المعركة بكل فكرها ووجدانها وألا تكون بمعزل عن أحداثها ، ولهذا عاش الرسول المعركة مع قومه وبين أصحابه : ينظم الصفوف ، ويرتب الجند ، ويدير المعركة ، ويصدر الأوامر والتعليمات ، ويشجع أصحابه ، ويحرضهم على الصبر والصمود .

ولما أطمأن الرسول إلى سلامة قواته وصلابة موقفه وحسن الاستعداد والتجهيز – اتجه إلى ربه الذى وعده بالنصر وحمّله الرسالة إلى البشر أجمعين ووقف يناشده ويقول :

« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » . . .

وما زال يهتف بربه مستقبلا القبلة رافعا يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه ، وأبو بكر من خلفه يرد على منكبيه رداءه ويقول : « يا نبى الله ، بعض مناشدتك ربك . فإن الله منجز لك ما وعدك » .

وظل الرسول متوجها إلى الله فى ضراعة حتى خفق خفقة من نعاس رأى خلالها نصر الله فقال لأبى بكر : « أبشر أبا بكر أتاك نصر الله ! هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع ! ثم خرج الرسول إلى صحبه وقال لهم : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

١٢

وفى الوقت ذاته كانت قريش قد استكملت هى الأخرى استعدادها لخوض غمار المعركة ، فقد نزلوا فى موقع قريب من بدر ، وأثارهم تغوير المسلمين للآبار حتى إنه لم يعد أمامهم إلا بئر واحدة للارتواء أبقاها المسلمون وبنوا عليها حوضا جعلوه فى حراسة رجال أشداء منهم يحمونه ويمنعون رجال قريش من استعماله !

واختار القرشيون منهم رجلا يحمل إليهم أخبار المسلمين وكان عمير ابن وهب الجمحى ، قالوا له : « احرز لنا محمدا وأصحابه » فركب فرسه وجعل يجول حول معسكر النبى ، ثم عاد إليهم وقال : « لا مدد لهم ولا كمين ! القوم ثلثمائة إن زادوا قليلا ومعهم سبعون بعيرا وفرسان ! يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب (الإبل) تحمل الموت الناقع ، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترونهم خرسا لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعى ؟ والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منا رجل ، فإذا أصابوا منكم عددهم فما خير فى العيش بعد ذلك ، فروا رأيكم !

فلما سمع حكيم بن حزام رأيه فكر فى الأمر وأتى شيبة وعتبة ابنى ربيعة وتشاور الثلاثة فى الأمر ثم أشاروا على الناس بالانصراف ، ووقف عتبة على جمل له أحمر وقال مخاطبا قومه : « لا تردوا نصيحتى ولا تسفهوا رأيى ! إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه ولا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك لم نتعرض منه لما تكرهون ، فإنما أرى قوما مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير » .

وأثار نداء عتبة أبا جهل فمضى إلى عامر بن الحضرمى وقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك ، فقم

فانشد مقتل أخيك ، فصرخ عامر « واعمراه ! واعمراه ! » مذكرا للناس بمقتل أخيه عمرو الذى قتله عبد الله بن جحش ، ووقف عامر يحثو التراب على استه يخزى بذلك عتبة لأنه حليفه من بين قريش !

ووقف أبوجهل يحث الناس ويحرضهم ، ويزيل من أذهانهم كلمات عتبة حتى خضع له الجميع فقال لهم : « خذوهم أخذا ، فاربطوهم فى الحبال ، ولا تقتلوا منهم أحدا ، وتشجع الناس حتى المترددون منهم ، وزحفوا نحو صفوف المسلمين ، وأصبح الفريقان فى صفين متقابلين وجها لوجه ينتظران القتال !

١٣

وبدأ الاشتباك

بدأ على عادة العرب بالمبارزة .

وخرج عمير بن وهب من صفوف قريش وناوش المسلمين ، فثبتوا على صفهم ثم خرج عامر بن الحضرمىّ ، فشد على المسلمين ونشب القتال :

فقد خرج له أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر ، وكان أول قتيل من الأنصار هو حارثة بن سراقة قتله حبان بن العرقة ، وقيل : إنه عمير بن الحمام قتله خالد

ابن الأعلم العقيلى ، ثم خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان رجلا شرسا شديد العداوة لرسول الله ، فتقدم إلى الحوض الذى بناه المسلمون وقال : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ! »

فخرج له حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة أطاحت بنصف ساقه فوقع الأسود على ظهره ، ولكنه زحف ودمه يسيل إلى الحوض ليبر بقسمه فتبعه حمزة وضربه ضربة أخرى كانت القاضية وأثار قتاله القرشيين فخرج من صفوفهم ثلاثة : شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة ، فدعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار هم معاذ ومعوذ وعوف أبناء الحارث ، ولكن رسول الله ردهم ، فنادى المشركون « يا محمد ، أخرج إلينا الأكفاء من قومنا ! » فنادى الرسول : « يا بنى هاشم قوموا قاتلوا بحقكم الذى بعث الله به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » ، فخرج من بين صفوف المسلمين حمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث ، وقدم حمزة نفسه فقال :

« أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » فرد عليه عتبة : « كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء » ثم سأل « من هذان معك ؟ » فأجابه « على بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث » فقال « كفئان كريمان » .

وتقدم الوليد بن عتبة فى مواجهة على فقتله على .

ثم تقدم عتبة فى مواجهة حمزة فقتله حمزة .

ثم تقدم شيبة فى مواجهة عبيدة فضرب شيبة رِجْلَ عبيدة بطرف سيفه فقطعها فهاجمه على التو حمزة وعلى وقتلاه .

ودار القتال بين الطرفين .

والتحم الجيشان فى عراك شديد فى صباح يوم الجمعة السابع عشر من رمضان ، وظل التلاحم والضرب والقتال طوال النهار .

وتولى رسول الله قيادة المعركة كأعظم ما تكون القيادة ، فقد تجلت مهارته عليه السلام كقائد ، إذ باشر مهام القيادة بحذق ومهارة وكفاية وإدراك ووعى :

كان عليه السلام يصدر الأوامر ، ويباشر القتال ، وينتقل بين الصفوف يحرض على الصبر والنزال حتى إن عليا قال :

« كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ! ولقد رأيتنى ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو » .

وكان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة رائعة وطيب خاطر واستجابة عن إيمان وثقة .

ورأى رسول الله القرشيين يقتربون من المسلمين ، فأصدر أوامره إلى رجاله : « إن اكتنفتم القوم فانضحوهم بالنبال ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

وهذا الأمر يعنى أن يؤخر المسلمون قذف السهام من الأقواس على عدوهم حتى يقترب منهم ضمانا لإصابته وتأكيدا ووثوقا ، وهذا الأسلوب فى الرمى هو الذى تستخدمه الجيوش الحديثة فى حروب اليوم ويعرف باسم (كبت النيران) أى الاحتفاظ بقوة النيران حتى يكون العدو فى مدى المرمى والإصابة القاتلة .

وعندما اشتد القتال أمر رسول الله بالقيام بهجوم عام ، وصدرت تعلياته إلى رجاله « شدوا » ، فاندفع المسلمون فى حماس جعل من قلتهم كثرة ومن ضعفهم قوة ، وأخذوا فى قوة خارقة يحزون الرءوس ، ويقطعون الرقاب غير مبالين بعنف القتال وشدته ، يستهدفون نصرا عظيما أو استشهادا كريما ، واستمر القتال حتى حان المساء فتوقف ، وتبين أن أربعة عشر رجلا من المسلمين قد نالوا شرف الشهادة : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ؛ وقتل من المشركين سبعون رجلا ، ووقع فى الأسر سبعون أيضا ، وكان فى مقدمة من قتل منهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة والعاص بن هشام وأمية بن خلف الذى قتله بلال ، وقد كان مولاه فى الجاهلية وفى بداية الإسلام وناله منه عذاب شديد ، إذ كان يخرجه إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ويحرمه الطعام والشراب ، ويسلمه لأطفال يعبثون به حتى يفتنه عن دينه ! رآه بلال خلال القتال ، فصاح به « أمية رأس الكفر ؛ لانجوتُ إن نجا ! » ثم قتله .

بعد أن وضعت الحرب أوزارها أسرع عبد الله بن رواحة ومعه زيد ابن حارثة إلى المدينة يحملان للناس البشرى ، وينقلان إليهم خبر النصر العظيم على أئمة الكفر والضلالة والغى .

وأمر رسول الله أصحابه ، فجمعوا جثث القتلى وحفروا قليبا دفنت فيه الجثث ، ووقف رسول الله يخاطب القتلى ويقول : « يأهل القليب ، . . » وأخذ يذكر القتلى بأسمائهم واحدا بعد الآخر « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا » .

وأقبل قوم من المسلمين ، وسمعوا رسول الله يخاطب أهل القليب فسألوه : « يارسول الله ، أتنادى قوما جيفوا ؟ فقال عليه السلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبونى ، ولقد علموا أن ماوعدتهم حقا ! »

وكان من بين القتلى عتبة بن ربيعة ورأى رسول الله ابنه أبا حذيفة كئيبا قد تغير لونه فسأله : « لعلك يا أبا حذيفة قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ » فأجاب « لا والله يارسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، وكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ماكان عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجوه له أحزننى أمره ! » .

وجمع المسلمون غنائم كثيرة ، ثم سهروا ليلتهم على الأسرى ، وكان قد تجمع لديهم عدد من الأسرى ، فسار بهم رسول الله ، إلى

المدينة ، وفى الطريق أمر الرسول بقتل رجلين منهم : هما النضر بن الحارث وكان قد أسره عبد المطلب بن سلمة الأنصارى ، وعقبة بن أبى معيط وكان قد وقع أسيرا فى يد المقداد بن عمرو ، وكان الاثنان شرا على المسلمين وقت مقامهم فى مكة .

فعندما عرض أمرهما على رسول الله ولم يكن عليه السلام قد بحث موقف الأسرى أو استقر على رأى بالنسبة لهم أمر بقتلهما ، فقُتِل النضرُ عند الأثيل ، وقيل نظر إليه رسول الله نظرة ارتعد لها ، فقال لرجل بجانبه : « محمد والله قاتلى ، لقد نظر إلى بعينين فيهما الموت » ، ثم التفت إلى مصعب بن عمير وكان أقرب الناس به رحما وقال : « كلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من رجاله فهو والله قاتلى إن لم تفعل » فرد عليه ، إنك كنت تقول فى كتاب الله وفى نبيه كذا وكذا ، وكنت تعذب أصحابه فقال له : « لو أسرتك قريش ماقتلتك أبدا وأنا حى ! » فقال له مصعب : « والله إنى لأراك صادقا ، ثم إنى لست مثلك » ، وقتله على ابن أبى طالب بضربة سيف .

وأمر رسول الله بقتل عقبة بن أبى معيط فصاح ! » ومن للصبية يامحمد ؟ » فأجابه الرسول « للنار » وقتله أيضا على ، وقال رسول الله لأصحابه : « أتدرون ماصنع هذا بى ؟ . جاء وأنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنقى ، وجعل يغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينى تسقطان ! ، ثم جاء مرة أخرى بسلاة شاة (المشيمة التى يكون فيها الولد)

فألقاه على رأسى وأنا ساجد خلف المقام ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى ! » .

ووصل باقى الأسرى إلى المدينة فوزعهم الرسول على أصحابه وقال لهم : « استوصوا بهم خيرا » .

وأخذ الرسول يفكر فى أمرهم : ماذا يفعل بهم ؟ وكيف يتصرف معهم ؟

هل يقتلهم فيتخلص من قوم أشداء فى الحرب فيفتقدهم قومهم عند نزال جديد ؟

– هل يأمر بفدائهم ، ويسلمهم إلى أهلهم فيعودوا إلى قتاله وهم أقوياء فى النضال ؟

– هل يقتلهم فيثير نفوس قومهم فيزدادوا كرها للإسلام وللمسلمين ؟

– هل يقبل منهم الفداء وقد امتلأت نفوسهم حقدا وضغينة بعد هزيمتهم المرة ووقوعهم فى الأسر فيكونوا حربا عليه بعد فك أسرهم ؟

كان الأسرى يمثلون مشكلة يواجهها المسلمون لأول مرة ، مشكلة تتطلب حلا ، ولم يشأ رسول الله أن ينفرد فى حلها برأيه وحده فجمع أصحابه ليرى رأيهم .

وفى الوقت ذاته كان الأسرى يفكرون فى أمرهم ، وحبا منهم فى الحياة وتعلقا بها كانوا يأملون أن يقبل الرسول منهم الفداء مهما بلغ قدره ،

واستقر رأيهم على مخاطبة أبي بكر فى هذا الشأن ، فبعثوا إليه يقولون : « يا أبا بكر ، إن فينا الآباء والإخوان والعمومة وبنى العم ، وأبعدنا قريب ، كلم صاحبك يمن علينا أويفادنا » فوعدهم أبو بكر خيرا .

ثم بعثوا إلى عمر بن الخطاب بما كلموا به أبا بكر ، فلم يسمع منهم ، واجتمع المسلمون عند رسول الله وتناقشوا فى أمر الأسرى ، وظهر خلال النقاش رأيان مختلفان .

أولهما كان رأى أبي بكر الذى قال للرسول : « يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة وبنو العم والإخوان ، وأبعدهم منك قريب ، فامنن عليهم منَّ الله عليك أو فادهم يستنقذهم الله بك من النار ، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين ، فلعل الله أن يقبل بقلوبهم » .

والآخر : كان رأى عمر ، فقد طالب بقتلهم وقال : « يارسول الله ، هم أعداء الله كذبوك وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم ، هم رءوس الكفر وأئمة الضلالة ، يوطئ الله بهم الإسلام ، ويذل بهم أهل الشرك » .

وأثار هذا الرأى أبا بكر ومن رأى رأيه ، فظل أبو بكر يلين الرسول ويكسر غضبه ويستعطفه ويذكر القرابة والرحم .

ووقف المسلمون : بعضُهم فى جانب أبى بكر وبعضهم فى جانب عمر .

وأخيرا استقر الرأى على قبول الفداء .

وقد عاتب الحق تبارك وتعالى المسلمين ، لأنهم تركوا الأسرى يعودون إلى أهلهم وقد وهبوا لهم الحياة مقابل مال دفعوه فداء ، فأعطوهم بذلك فرصة العودة من جديد لمناصبتهم العداء والوقوف فى وجه الدعوة والداعين : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم »[1] .

وأخذ المسلمون الفداء من ثمانية وستين رجلا وتدرج المال من ألف درهم إلى أربعة آلاف ، وكان كل أسير يدفع على قدر يساره : فافتدى العباس بن عبد المطلب نفسه بسبعين أوقية من الذهب وافتدى كذلك عقيل بن أبى طالب بسبعين أوقية .

وأعفى رسول الله الفقراء الذين لامال عندهم ، فقد منّ عليهم وأطلق سراحهم دون فداء .

وكذلك أطلق الرسول كل أسير علّم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . وكان زيد بن ثابت أحد الغلمان الذين تعلموا فى هذا الفداء ، وزيد هو الذى كتب الوحى للنبى ، وكتب بعد ذلك مصحف حفصة فى عهد أبى بكر ثم المصاحف الأخرى فى عهد عثمان

---

(١) الأنفال / ٦٧ .

١٥

لقد تميزت واقعة بدر بميزات عدة قفزت بها إلى مصاف المعارك التاريخية الحاسمة فى تاريخ العالم : فقد كان لها برغم أنها أول معركة يخوض المسلمون غمارها مايأتى :

مقومات المعركة الناجحة :

إنَّ الشيء الذى يسترعى النظر فى هذه المعركة هو قلة جيش المسلمين عددا وعدة ، على حين كان الطرف الآخر ذا تفوق واضح ملموس فى عدد المقاتلين و فى كثرة السلاح ، سواء مااستخدم منه فى الضرب والطعن أوما استخدم فى الحركة والنقل ، وكان من المتوقع – كما كان يأمل أبوجهل – أن تكون نتيجة المعركة فى الجانب الأكثر عددا ، ولكنها جاءت على عكس ذلك تماما ، وانتصر المسلمون مع قلتهم ، وقلب نصرهم مفاهيم الأعداء للمعركة ، كما غير نظرية الحرب وبدلها !

وإن المتعمق فى دراسة تاريخ الحروب والمتتبع لظروفها وتطورها يدرك أن نظرية الحرب التى سادت منذ عرف الإنسان الحرب حتى قيام معركة بدر هى نظرية الكم أعنى العدد . . أى عدد المقاتلين الذين يشتركون فى القتال ويواجهون العدو ، وعدد السلاح وكميته التى يستخدمها

المقاتلون ، وكان النصر فى المعارك التى سبقت العهد الإسلامى دائما فى الجانب الأكثر عددا والأوفر سلاحا ، ولهذا كانت القيادات تسعى دائما إلى أن يتوافر تحت لوائها العدد الكبير من المقاتلين ، وكان مجرد اجتماع هذا العدد يدخل الطمأنينة إلى قلب القائد الذى يضمن إلى حد كبير النصر فى لقائه المنتظر مع عدوه .

وسعيا وراء العدد الكبير وجدت فئة الجنود المرتزقة التى اتخذت الحرب مهنة للكسب والرزق ، فكان أفرادها يسعون إلى الانضمام إلى الجيوش المقاتلة التى كانت قياداتها ترحب بهم وتدفع لهم أجورهم ، لأنهم كانوا يشكلون عاملا هاما فى زيادة عدد المقاتلين ، فتزيد بذلك الفرصة فى كسب المعركة وتقترب الآمال فى النصر على العدو .

وفى ضوء هذه النظرية كان أبو سفيان سعيدا بجموعه الكثيرة ، كان مطمئنا إلى النصر ، لهذا رفض كل الأصوات التى دعت إلى العودة وتجنب الصدام ، ورأى أن يقيم فى بدر حتى تسمع به العرب فتظل تخشاه ، وكذلك أيضا كان سعيدا حين بلغه قلة جيش المسلمين وصغر حجمه ، فقد أكد له ذلك أن طريق النصر مفروش أمامه بالرياحين والورود ! ولكن ثبت بعد المعركة أنه كان يفكر بعقلية قديمة لم تتفتح لمفاهيم الإسلام ، ولم ترق إلى مستوى نظرياته ومبادئه ، فعندما باشر المسلمون الحرب تبدلت نظريتها وتغير مفهوم المعركة ، فقد اهتم الإسلام بالكيف دون الكم . . أعنى اهتم بالفرد المقاتل من حيث هو إنسان له

قدرات وله إمكانات وله مشاعر ومعنويات : أى أن الإسلام اتجه باهتمامه أولا وبصفة أساسية إلى شخصية المقاتل وذاته ، فاعتمد على اليد القوية التى تحمل السلاح ، والقلب المؤمن الذى يخفق من خلف السلاح ، والعقل المفكر الذى يدبر وسائل استخدام هذا السلاح !

لقد دخل المسلمون المعركة بروح جديدة وأفكار جديدة ومشاعر جديدة حتى إن الواحد منهم كان يحمل سلاحه ، ويخوض المعركة لايفكر فى ولد ولابيت ولامال ، ولاتخطر بباله فكرة العودة حيا يرزق ، بل كان يسعى بصدق وإصرار وإيمان إلى نيل الشهادة غايته القصوى وأمله المرتجى طمعا فى ثواب عظيم وعده به الله تبارك وتعالى .

ومن خلال هذا المعنى وفى ضوء مفاهيمه كان المسلم يندفع إلى المعركة فى شدة وصلابة وعنف ، يواجه الشدائد بقلب ثابت لا يهتز ولا يرتجف ، لا تخيفه أحداث المعركة ، يؤمن بأن القتال فى سبيل الله واجب ، وأن الجهاد فى سبيله أمانة ، وأن الموت فى الميدان شرف ، وأن الحياة الآخرة خير وأبقى !

ولعل أروع مثل يؤيد مانذهب إليه موقف عمير بن الحمام وكان من جند المعركة وسمع رسول الله يقول : « ابتدروا جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » . وكان بيده تمر يأكله فقال : « بخ بخ ! » فسأله رسول الله : لم تبخبخ ؟ ، فأجاب : أما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ أرجو أن أكون من أهلها ، « ثم نظر إلى التمرات

التى فى يده وقال : والله لئن بقيت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة » ، ثم قذف ما فى يده وقام إلى سيفه وهو معلق ملفوف بخرق ، فأخذه ثم تقدم فقاتل وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمـــل المعـــاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكـــل زاد عرضة النفـــاد
غير التقى والبر والرشاد !

وحدث محمد بن عمر عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : أول قتيل قتل من الأنصار فى الإسلام عمير بن الحمام ، قتله خالد بن الأعلم » .

ولعل كثرة الضحايا من قريش تعطى دليلاً آخر على روح القتال التى كانت تسيطر على الجند المسلمين خلال المعركة .

١٦

ومن أهم مقومات معركة بدر جماعية القيادة: بمعنى أن الرسول الكريم لم ينفرد فى أحداث بدر برأى ، بل تبادل الرأى والتشاور والتناصح بقصد استعراض شتى وجهات النظر وتمحيص الآراء والأفكار ، وكان عليه الصلاة والسلام يرى فى ذلك تدقيقا كبيرا ، فرأى

الجماعة أفضل دائما من رأى الفرد . والدين كما يقول رسول الله النصيحة ! وإذا كانت النصيحة والشورى وتبادل الرأى ضرورية كلها بالنسبة لأوجه الحياة كلها فهى من أول وألزم الضروريات فى شئون الحرب ! ولهذا أمر الحق تبارك وتعالى رسوله وهو المعصوم المؤيد بالوحى أن يشاور الناس وأن يستمع إلى النصح ، وأن يستعين بأهل الخبرة والتجربة : « وشاورهم فى الأمر »[1] .

ومن مقومات النصر فى بدر علاقة الرسول كقائد بأصحابه كجند : فقد كانت هذه العلاقة على مستوى المسئولية والواجب الدينى ، ولهذا اهتم رسول الله بالخيط الذى يربطه بجنده : لم يبتعد عنهم ، ولم يبعدهم عنه ، كان يحافظ عليهم ولا يحملهم من الأمر ما هو فوق طاقتهم ، كان يحرص على سلامتهم وأمنهم ، كما أنه عليه السلام لم يفرق بينهم فى المعاملة ، هذا فوق أنه جعل من نفسه مثلا يُقتدى : كان شجاعا فتمثل به جنده ، وكان قوى الإرادة راسخ العقيدة ، وكذلك كان جنده ، كان يشاركهم فى كل أعمالهم ويسهم معهم ، ويأخذ بدوره فى القتال كواحد منهم ، فاستمال بذلك قلوبهم ، وجمعهم حوله كتلة مؤمنة قوية ، كان يشعرهم بالثقة فبادلوه إياها . كان يواجه عدوه فى حزم وقوة وإيمان فنسجوا على منواله !

* * *

---

(١) آل عمران/١٥٩

١٧

وأخيرا سميت بدر بيوم الفرقان ، انتصر فيه المسلمون على جيوش الشيطان ، وتأكدت فيه فى داخل الجزيرة العربية أن كلمة الله هى العليا .

لقد كانت معركة بدر ذات آثار بعيدة المدى فى الموقف فى داخل الجزيرة ، لأن انتصار المسلمين مع قلتهم فتح لهم باب النصر العظيم ، ومهد أمامهم سبيل الفوز فى مختلف معاركهم التى خاضوها ضد أعداء الله !

لقد كانت بدر مدرسة للقادة الأعلام ، ومدرسة للإيمان والإخلاص لله ولرسوله ، وكانت تاجا توج كل المشتركين فيها بالمجد والفخر والذكر الحسن ، حتى أصبح أهل بدر أكثر الناس خلودا فى التاريخ الإسلامى .

وحسب أهل بدر أن يكونوا أول من نصر الإسلام ، وأول من أكد كلمة الله ، فى أرض كان أهلها يعبدون الأوثان ، وفى مجتمع كان يسوده الفساد والبغى والضلال !

غزوة الفتح

١

كانت عادة المسلمين أن يحجوا إلى المسجد الحرام سنة وراء أخرى ، إلا أنهم منذ تركوا مكة ، وهاجروا إلى المدينة التفافا حول رسول الله ، لم يؤدوا هذا الفرض الذى تعودوه طوال حياتهم ، وعاشوا فى المدينة يتحرقون شوقا إلى بيت الله الحرام بمكة ، واشتد حنينهم إلى أداء فريضة الزيارة والحج والعمرة .

وأحس الرسول برغبتهم ، وأدرك مدى شوقهم لأداء هذا الواجب ، ولمس حنينهم الزائد إلى الطواف بالبيت ، فبات يفكر فى هذا الأمر حتى ألهم فى رؤيا صادقة أن أتباعه سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين لايخافون ! وحمد المسلمون الله حمدا كثيرا وهم يتلقون هذا النبأ العظيم الذى كان أملهم فى يومهم وأمنيتهم فى غدهم ، وباتوا يترقبون اليوم الموعود بحنين وشوق وشغف .

وفى ذى القعدة فى السنة السادسة للهجرة استنفر رسول الله أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيئوا ، واستخلف رسول الله على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، وخرج أصحابه لايحملون من السلاح إلا السيوف فى

القِرب ، وساقوا أمامهم سبعين بدنة فيها جمل أبى جهل الذى غنمه المسلمون يوم بدر ، واختلفت المصادر فى عدد الخارجين ؛ فقيل : ألف وستمائة ؛ وقيل : ألف وأربعمائة ؛ وقيل : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون ، وخرج مع الخارجين طليعة من عشرين فرسا عليها عباد بن بشر ، وخرجت مع الرسول زوجته أم سلمة .

وكان واضحا أن خروج المسلمين على هذه الصورة يعنى رغبتهم فى أداء واجب الزيارة ، ولم يكن يعنى رغبة فى قتال أو نزال أو صدام : بمعنى أنه لم تكن هناك نية عدوانية ؛ وإنما هى رحلة سلام إلا أن قريشا حين بلغها خروج المسلمين أجمعت رأيها على صدهم عن المسجد الحرام وعلى حرمانهم من أداء هذا الواجب الدينى ظنا منهم أن المسلمين يدبرون حيلة يحتالون بها على دخول مكة ! ولذلك أعدوا قوة من مائتى فارس بعثوا بها إلى كراع الغميم وعليها خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل .

واقتربت القوة حتى دنت من مواقع رسول الله ، وأصحابه ، وجاء بشر بن سفيان الخزاعى فأخبر الرسول : « قد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله لاتدخلها عليهم أبدا ! » ، فأمر عليه الصلاة والسلام عباد بن بشر أن يتقدم فى خلية فى مواجهتهم .

وصفّ الرسول أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصلى بهم صلاة الخوف ، ثم نادى فى الناس : « من رجلٌ يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها ! » ثم سار بالناس وسلك طريقا وعرا بين شعاب

مضنية شاقة حتى دنا من الحديبية – وهى طرف الحرم على تسعة أميال من مكة – حيث بركت راحلته القصواء ، وتساءل الناس : « خلأت القصواء » فأجابهم الرسول « إنها ماخلأت ولكن حبسها حابس الفيل ، أما والله لايسألون اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله إلاأعطيتهم إياها » .

وجاء إلى رسول الله بديل بن ورقاء ومعه ركب من خزاعة وقال : « جئناك من عند قومك كعب بن لؤى وعامر بن لؤى ، قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم يقسمون بالله لايخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم ! » ، فقال له الرسول : « لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه » .

ثم جاءه عليه السلام عروة بن مسعود ثم مكرز بن حفص بن الأخيف ، فكلماه بما كلمه به بديل ، وسمعا منه الرد ذاته .

ثم جاءه الحليس بن علقمة سيد الأحابيش ، فلما رأى الهدى عليه القلائد قد أكل أدباره من طول الحبس رجع وقال لقريش ، والله لتخلن بينه وبين ماجاء له أولأنفرن بالأحابيش ! فقالوا له : فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به ! » .

وأراد الرسول أن يقدم دليلا على حسن نواياه ، فبعث مندوبين عنه إلى قريش يشرحون لهم الهدف من الحضور ، ويبعثون إلى نفوسهم الطمأنينة ، ويؤكدون أنه لاقتال ولانزال بل أداء واجب الطواف يعقبه الانصراف والعودة :

فبعث أول من بعث خراش بن أمية فأراد الناس قتله ، ولكن منعه من هناك من قومه ، ثم أرسل عثمان بن عفان وقال له : « اذهب إلى قريش فأخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين لحرمته ، معنا الذى ننحره وننصرف ! » ولكن قريشا ظلت على موقفها فردت : لاكان هذا أبدا ، ولايدخلها علينا العام ! .

واستمرت الرسل تختلف بين الطرفين حتى استقر الرأى على الصلح والموادعة ، واجتمع رسول الله وسهيل بن عمرو الذى فوضته قريش يوقع عنها اتفاقا أطلق عليه « عهد الحديبية » .

واتفق الطرفان فى هذا العهد على أن تقوم بينهما هدنة مدتها عشر سنين توضع فيها الحرب ويأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، ويدخل فى عهد محمد وعقده من أحب ، ويدخل فى عهد قريش وعقدها من أحب ! . . كما نص العهد على أن من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده إليه ، وأن من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه ! وتعهد الطرفان فى العهد على أن يرجع محمد بأصحابه هذا العام على أن يعود معهم فى العام المقبل فيقيموا فى مكة ثلاثة أيام .

وعاد المسلمون أدراجهم إلى المدينة ، ونزل قول الحق تبارك وتعالى يبشرهم ويطمئنهم : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما [١] »

---

(١) سورة الفتح/١ ، ٢ .

وإذا كان لنا وقفة عند عهد الحديبية فإن هذا العهد كان فعلا فتحا مبينا بشر به الله تبارك وتعالى المسلمين ، وكان حكمة سياسية من جانب رسول الله ، فقد اعترفت فيه قريش بمحمد ندا وعدلا ، كما اعترفت بالدولة الإسلامية وقيامها وبحق المسلمين فى زيارة البيت وإقامة شعائر الحج ؛ كما اعترفت اعترافا صريحا بالإسلام كدين :

حدث سفيان الثورى عن داود عن الشعبى قال : « الهجرة مابين الحديبية إلى الفتح ، والحديبية هى الفتح » .

وكان من نتائج هذا العهد أن حالفت خزاعة رسول الله ، وحالفت بنوبكر قريشا .

وتفرغ المسلمون بعد ذلك يرسخون قواعد دينهم ويواجهون اليهود فى مواقع متتالية حتى قضوا عليهم ، فهاجر منهم إلى أطراف الشام من هاجر ، وبقى منهم عدد قليل أمن المسلمون شرهم .

وأصبحت قريش وحدها هى قوة المواجهة أمام المسلمين الذين كانوا يعدون العدة لدخول مكة والعودة إليها :

وفى هذه الفترة أحرز المسلمون مكاسب كثيرة : فقد دخلت قبائل كثيرة فى الإسلام : كما انضم إلى صفوفهم عدد من رجالات قريش الأبطال الذين كانت تعتمد عليهم اعتمادا كبيرا وترى فيهم مصدر قوة ومنعة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

ووقع فى هذه الفترة أول صدام مسلح بين المسلمين والروم فى واقعة

مؤتة على حدود الشام ، وعاد المسلمون من هذه المعركة وقد أصابتهم هزيمة قاسية فقدوا فيها ثلاثة من أبطالهم المغاوير وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة .

وظنت قريش أن المسلمين قد اهتزوا لهزيمتهم فى مؤتة ، وظن ذلك أيضا حلفاؤهم ، فظلوا ينتهزون الفرصة للانقضاض عليهم .

٢

رأى بنو بكر الفرصة مواتية لقتال خزاعة ، وكانت بينهما خلافات وثأرات ظنا منهم أن هزيمة المسلمين فى مؤتة قد تمنعهم من مساندة حلفائها من خزاعة ، فبعثت رجلا منها يسب الرسول ويهجوه على مسمع من أحد الخزاعيين ، فضربه هذا وشجّه ، ووقع الشر بين القبيلتين ، وطلب بنو نفاثة — وهم من بنى بكر — من قريش حليفتهم إمدادها بالرجال والسلاح ، فأمدتهم بعدد من رجالها منهم : صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف .

وبينما خزاعة ذات ليلة على ماء يدعى الوتير فاجأتهم بنو بكر فقتلوا منهم عشرين رجلا ، ففرت خزاعة إلى مكة ، ولجأ رجالها إلى دار بديل ابن ورقاء ، وشكوا إليه نقض قريش عهدها مع رسول الله ، ثم اتجهوا إلى بيت الله يحتمون به ، فهاجمهم بنو بكر ، وصاح نوفل بن معاوية رئيس

بنى بكر فى قومه : « لا إله اليوم يا بنى بكر ! . . أصيبوا ثأركم ! » .

ولم يعد هناك مفر أمام خزاعة إلا أن تلجأ إلى حليفهم رسول الله ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة ومعه بديل بن ورقاء ، فقدموا على رسول الله – وكان بالمسجد – يخبرونه بالذى أصابهم ويستنصرونه .

ووقف عمرو بين يدى الرسول وأنشد أبياتا من الشعر .

فلما سمع رسول الله صيحة عمرو بن سالم خرج من المسجد يجر رداءه وهو يقول : « لانصرت إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر منه نفسى ! » وقال « إن هذا السحاب ليستهل بنصر بنى كعب » وعزم رسول الله على فتح مكة .

وأحست قريش بالخطأ الذى وقعت فيه بنقض الاتفاق بينهم وبين المسلمين ، وأدركت ما جرته على نفسها من شر بسبب انتهاكها للهدنة القائمة بين الطرفين ، فاجتمع رجالها وتشاوروا فى الأمر ، وقرروا إيفاد بعثة إلى رسول الله تسعى إلى تأكيد العهد وتثبيته وإطالة مدته ، وعهدوا بذلك إلى أبى سفيان .

وخرج أبو سفيان من مكة قاصدا المدينة ، فلقى فى موضع يسمى عسفان بديل بن ورقاء وأصحابه عائدين من المدينة فسأله : « من أين أنت قادم يا بديل ؟ » وأدرك بديل ما وراء السؤال ، وأحس بأن أبا سفيان يريد أن يعرف : هل وصل أمر قريش إلى رسول الله ؟ فنفى مقابلته

له وقال : « من زيارة لخزاعة على الساحل ! » ولكن أبا سفيان لم يطمئن لهذه الإجابة وخشى أن تزيد مهمته تعقيدا إذا كان قد وصل إلى علم الرسول ما حدث ، فعاد يسأله : « أو ما جئت محمدا ؟ » فأجاب بالنفى !

وعندما هم أبو سفيان بالانصراف رأى فضلات راحلة بديل ، فلما فحصها وجد فيها نوى التمر ، فعرف أنه كان بالمدينة ، فقرر ألا يلقى رسول الله ، وجعل وجهته بيت ابنته أم حبيبة زوج الرسول ، فأساءت ابنته استقباله ؛ فقد أراد أن يجلس على فراش النبى فطوته فسألها : « يا بنية ، ما أدرى : أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ » فأجابته : « بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس ولا أحب أن تجلس عليه ! » .

ولم يجد أبو سفيان بدا من مقابلة رسول الله ، وخاصة أنه تبين من خلال حديثه مع أم حبيبة أنها لا تعلم ما اعتزمه رسول الله من أمر مكة ، فتوجه إليه يسأله أن يجدد العهد ، وأن يزيد المدة ، فأبى رسول الله ، فقال أبو سفيان : «إنى قد أجرت بين الناس » ؛ فرد عليه الرسول : « أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ! » وكان الرسول قد قرر المسير بأصحابه إلى مكة ، ولكنه عليه السلام أخفى هذا القرار فى نفسه » ولم يفصح بأمره لأحد حتى المقربين إليه !

ورأى أبو سفيان أن يكلم أبا بكر ، فعرض عليه أن يتوسط لدى

رسول الله فأبى أبو بكر الاستجابة إليه ، واستشفع بعمر بن الخطاب فأغلظ له فى الرد وقال : « أنا أشفع لكم عند رسول الله ! » ثم أردف متوعدا « والله لو لم أجد إلا الذرَّ لجاهدتكم به ! » .

ولجأ أبو سفيان بعد ذلك إلى على بن أبى طالب وعنده فاطمة وسأله التدخل فرد عليه : « والله يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه ! » واستشفع أبو سفيان بفاطمة بنت النبى أن يجير ابنها الحسن بين الناس فقالت له : « ما يجير أحد على رسول الله » .

وأوصدت الأبواب فى وجه أبى سفيان ، واشتدت عليه الأمور ، فطلب من على النصيحة فنصحه أن يعود من حيث جاء « قم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك وما أظن ذلك مغنيا ، ولكنى لا أجد لك غيره » فتوجه أبو سفيان إلى المسجد ، وأعلن أنه أجار بين الناس ، ثم ركب راحلته وعاد إلى مكة يجر أذيال الخيبة وقد عصر الألم قلبه لما لقى من هوان على يد ابنته وعلى يد من كانوا يجلونه ، فلما وصل مكة وروى لأهلها ما حدث لم يصدقوه واتهموه وقالوا له : « ويلك والله إن زادَ الرجلُ على أن لعبَ بك ! » .

٣

بعث رسول الله إلى من حوله من العرب مثل أسلم وغفار ومزينة

وجهينة وأشجع وسليم ، وطلب منهم الانضمام إلى جيش المسلمين وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليحضر رمضان بالمدينة » .

وطلب الرسول من عائشة أن تهيئ جهازه ودخل عليها أبو بكر فسألها : « أى بنية ، أأمركم رسول الله أن تجهزوه ؟ » فأجابته « نعم » فعاد يسألها : « فأين ترينه يريد ؟ » فأجابت : (والله لا أدرى !) .

وتجمع الناس فى المدينة ، وتدفقت الجموع من هنا وهناك ، وبلغ عدد المجتمعين عشرة آلاف ، وقيل فى بعض الروايات : بلغوا اثنىْ عشر ألفا .

وكان يعيش بالمدينة رجل يدعى حاطب بن أبى بلتعة وهو من لخم كان قد هاجر إلى المدينة ، وآخى رسول الله بينه وبين أخيلة بن خالد ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، وبعث الرسول معه كتابا إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله . . رأى حاطب النشاط المتزايد فى المدينة والجموع التى ترد إليها ، فتوقع أن يسير رسول الله بهذه الجموع إلى مكة ، فكتب خطابا إلى قريش وجهه إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ينبئهم باعتزام الرسول التحرك إلى مكة ، وسلم الكتاب إلى امرأة تسمى سارة كان قد استأجرها بعشرة دنانير وقال لها : « أخفيه مااستطعت ولا تمرى على الطريق ؛ فإن عليه حرسا ! » .

وعلم الرسول بأمر الرسالة ، فبعث وراء المرأة على بن أبى طالب

والمقداد بن عمرو والزبير بن العوام وقال لهم : « انطلقوا حتى تأتوا (خاخ) فإن فيها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فخذوه منها » .

وانطلق الثلاثة وراء المرأة حتى قبضوا عليها وقالوا لها : « أخرجى الكتاب » فقالت : « ما معى كتاب ! » فقالوا : « ما كذب رسول الله لتخرجِنّ الكتاب أو لنلقين عنك الثياب ونكشفنك ونضربن عنقك ! » .

وأمام هذا التهديد طلبت المرأة أن يبتعدوا قليلا ، ثم حلت شعرها ، وأخرجت الكتاب ، وسلمته لهم ، فساروا به إلى رسول الله فاطلع عليه فوجد فيه :

« إن رسول الله جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله ، وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم ! » وجاء فى رواية أخرى أنه جاء بالكتاب :

« إن الرسول قد أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد ! » .

واستدعى رسول الله حاطب بن أبى بلتعة يسأله ما حمله على ذلك فقال : « يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس له فى القوم من أهل وعشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ! » .

وكان عمر حاضرا هذا اللقاء . فثار على حاطب وقال للرسول : « دعني يا رسول الله أضرب عنقه . فإن الرجل قد نافق ! » ولكن الرسول رد ردا جميلا « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فكأن ماضي حاطب الحافل بالجهاد العامر بالإيمان قد شفع له فعفا عنه رسول الله

وفي خلال فترة التجهيز والاستعداد لم يبح رسول الله بنيته ولم يبين للناس خبره أو مقصده . وكان عليه السلام يرمي بذلك إلى تحقيق هدفين هامين . أولهما مفاجأة قريش في مكة . والآخر دخول مكة دون قتال !

وبلغ حرصه عليه السلام غايته ، فقد دعا الله أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى لا تعرف شيئا عن تحركه : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » و « اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتة ! » .

وأمر رسول الله بحراسة جميع الطرق المؤدية إلى مكة وبمنع الدخول إلى المدينة أو الخروج منها حتى تظل قريش بمعزل عن أنباء المدينة ، وأمر عليه السلام بالقبض على كل من يرتاب فيه !

وحرصا من رسول الله على تحقيق السرية وإخفاء التحركات اختار عمر بن الخطاب ليتولى حراسة المدينة ، وأصدر إليه تعليماته قائلا : « لا

تدعوا أحدا يمر بكم إلا رددتموه » وكان سر اختياره أن فيه شدة وقسوة وأنه لا يحيد عن الأوامر التى يتلقاها ، وأنه يقوم بتبعاته بإخلاص وصدق نادرين .

وحرصا أيضا من رسول الله على تحقيق السرية وإخفاء التحركات بعث فى الأول من شهر رمضان – الذى وقع فيه فتح مكة وقبل تحركه بأيام – أبا قتادة بن ربعى فى ثمانية نفر سرية إلى بطن أضم (ما بين ذى خشب وذى المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة برد) ؛ ليظن الناس أنه متوجه إلى تلك الناحية ، فتسير بذلك الأخبار ، ولا تعرف قريش حقيقة وجهته .

ونفذت السرية تعليمات الرسول ، ولما عادت من مهمتها كان رسول الله قد خرج من المدينة فلحقوا به عند مكان يدعى السقيا . وقد حققت السرية الغرض من خروجها . فكانت ستاراً لأى تحرك ، وكانت وسيلة من وسائل إخفاء الخطة وتحقيق السرية .

٤

تم الاستعداد والتجهز ، وحان موعد التحرك ، فاستخلف رسول الله على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وخرج الجيش الإسلامى بعد عصر

يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان فى السنة الثامنة للهجرة .

وصحب رسول الله معه زوجتيه أم سلمة وميمونة .

وانضمت إلى الجيش خلال تحركه أعداد ضخمة من سائر القبائل وكلهم ممتلئو النفس بالإيمان ، مقتنعون بأنه لا غالب لهم من دون الله .

ووصل الجيش الإسلامى إلى مر الظهران ، وهو موقع على بعد أربعة فراسخ من مكة .

وعلم بعض من أهل مكة – ممن كانوا يخفون إسلامهم خوفا من جبروت قريش وسطوتها – بخروج الرسول فأسرعوا يغذون السير للقائه والانضمام إليه ، وكان منهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول الذى أسلم قبل غزو مكة وكتم أمر إسلامه . قال رافع مولى رسول الله .

«كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، فكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال متفرق فى قومه ، فخرج معهم إلى بدر وهو على ذلك» وكان منهم أبو سفيان بن الحارث ابن عم الرسول وأخوه فى الرضاعة من حليمة السعدية وكان معه ابنه جعفر . كان شاعرا يهجو أصحاب رسول الله وكان مباعدا للإسلام شديدا على من دخل فيه مكث عشرين سنة عدوا لرسول الله عاداه وهجاه ، ولم يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ، وعندما جاء ذكر تحرك رسول الله إلى مكة ألقى الله فى قلبه

الإسلام » فجئت إلى زوجتى وولدى فقلت تهيئوا للخروج فقد أطل قدوم محمد ! ، فقالوا : « قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمدا وأنت موغل فى عداوته وكنت أولى الناس بنصرته ! .

ثم خرجنا من مكة نريد رسول الله . فسرنا حتى نزلنا الأبواء . فخفت أن أقتَل وكان رسول الله قد نذر دمى ، فأسلمت وخرجت معه حتى شهدت فتح مكة ».

أحست قريش بالخطر الذى يتهددها . فبعثت أبا سفيان بن حرب يتلمس لها الأخبار وقالوا : « إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا »

فخرج ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء . فلما نظروا خارج مكة رأوا نيرانا كثيفة تضيء الليل ؛ فقد كان رسول الله قد أمر أصحابه . فأوقدوا نارا فى جميع أجزاء الجبل أضاءت الأودية والجبال . وأصبح المنظر رهيبا مرعبا ، وأسرع الرجال الثلاثة فى اتجاه النيران حتى يعرفوا مصدرها وأصحابها وأهدافهم ونواياهم ، وقال أبو سفيان لصحبه : « ما رأيت كالليلة نارا قط ولا عسكرا » فأجابه بديل : « هذه والله خزاعة قد حمشتها الحرب » ، ولكن أبا سفيان لم يقتنع بأن تكون هذه النيران المتوهجة المنتشرة هنا وهناك لخزاعة فقال : « خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ! » .

وسمع العباس بن عبد المطلب ، وكان مارا بالمكان — الحديث الذى دار بين الاثنين ، فنادى أبا سفيان وقال : « ويحك يا أبا سفيان . هذا

رسول الله فى عشرة آلاف وإصباح قريش إذا دخل مكة عنوة ! » فسأله أبو سفيان : « وما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ » فصحبه العباس ورد صاحبيه إلى مكة . وسار به بين الناس ليرى بعينى رأسه هذا الجيش اللجب ، وهذه القوة الجبارة . وهذا العدد الكثيف الذى يستعد لدخول مكة ! . ورأى أبو سفيان ما لا قبل له ولقومه به فقال للعباس : « يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما ! » فقال له العباس : « ويك إنه ليس بملك ، ولكنها نبوة » فقال « نعم ، هى ! » .

ونصح العباس أبا سفيان بالدخول فى الإسلام : « أسلم ثكلتك أمك وعشيرتك » والتمس من رسول الله : « يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا » فقال الرسول : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » .

وطلب رسول الله من عمه العباس أن يقف بأبى سفيان بمضيق الوادى عند مدخل الجبل إلى مكة حتى تمر به جنود المسلمين فيراها ، وينقل أخبارها إلى قومه عن اقتناع وبينة . ومرت القبائل به وهو فى مكانه بجوار العباس الذى كان يسمى له الجيش قبيلة قبيلة حتى نفذت القبائل وأبو سفيان يردد بعد مرور كل قبيلة : « مالى ولبنى فلان ؟ »

ثم مرت الكتيبة الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار يحيطون بالنبى ، فسأل أبو سفيان العباس : « سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ » فأجابه « هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ! » فصاح أبو سفيان وقد أذهلته

الصورة وهزت أعصابه : « يا عباس . ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ! »

ثم أسرع إلى مكة والناس هناك فى قلق وحيرة ينتظرونه ، ليقفوا على جلية الأمر ويعرفوا حقيقة الموقف ، فما إن رأوه قادما حتى هرعوا إليه وأحاطوا به يسألونه ويسمعون منه فقال لهم : « يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به : فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! » وسُقِطَ فى يدهم فحتى هذه اللحظة التى يستمعون فيها إلى قول أبى سفيان لم يكونوا على علم بمسيرة الرسول إليهم ، ولم يتخذوا أى تدابير للقتال ، ولم يكونوا قد استقروا على رأى ! وها هم أولاء تفاجئهم قوات محمد وتحيط بمكة ، وتقترب منها ، وليس لديهم فرصة للتفكير أو وقت للاستعداد ، وأصبحوا فى حالة شُل فيها التفكير وبلغ اليأس مداه !

أما هند بنت عتبة فما إن سمعت ما قاله زوجها أبو سفيان حتى وثبت إليه ، وأخذت بشاربه تلويه وصاحت فى القوم : أن يقتلوه ! « اقتلوا الحميت الدسم الأحمس » ولم يكترث هو لقول المرأة ، لأن الموقف أشد وأخطر ، ولابد لقريش من أن ترى الصورة واضحة المعالم ، فعاد يحذر الناس وينبهم وينصحهم « ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دارى فهو آمن » .

ولم يجد الناس ما يفعلونه إلا أن يرددوا فى يأس واستسلام : « قاتلك الله ! وما تغنى عنك دارك ؟ » فقال لهم : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ! »

وأصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين ، واختفى الرجال وراء الأبواب الموصدة وأسرع بعضهم إلى المسجد ، ووهنت روح القتال عندهم ، وتملكهم الخوف ، وبقوا فى أماكنهم ينتظرون دخول المسلمين !

وليس أدل على ذلك من أن أبا قحافة ؟ ولم يكن قد أسلم بعد ، بل ظل متمسكا بدينه — طلب من حفيدة له أن تظهر به على (أبى قبيس) وكان قد كف بصره فلم يعد يرى شيئا ، فلما ارتقت به الجبل سألها : ما ترى ؟ فقالت : « أرى سوادا مجتمعا » ؛ فقال لها : « تلك الخيل ! » ؛ قالت : « والله لقد انتشى السواد » ؛ فقال : « تلك الخيل دفعت إلى مكة . فأسرعى بى إلى بيتى » .

غير أن بعضا من القرشيين المتطرفين أبوا الاستسلام ، وظلوا على غيهم : وقرروا أن يجمعوا شتاتهم ، وأن يلموا صفوفهم وأن يقاوموا الجيش القادم بكل ما تبقى لديهم من صبر وجلد طالما فيهم رمق وعندهم قدرة ، ونجح هذا النفر فعلا ؛ فقد عمل بسرعة وتصرف رغم ضيق الوقت ، وتجمع لديه عدد مناسب كلف بمواجهة المسلمين فى أحد قطاعاتهم. إلا أن نجاحهم هذا كان واضحا أنه نجاح موقوت وأن العبرة بالمعركة ونتائجها .

٥

كانت منطقة التجمع (ذى طوى)

ومن هذه المنطقة يبدأ الجيش زحفه إلى غرضه .

ووضع رسول الله خطه دخول مكة شأنه فى ذلك شأن أعاظم القادة ، فمن أهم واجبات قائد الجيش وضع خطة العمل العسكرى . فيحدد قطاعاته ومحاور التقدم . ويقسم جيشه . ويسند لكل قسم ومهمته وواجبه .

قسم رسول الله جيشه إلى أربع فرق . وحدد لكل فرقه واجبها وقطاع عملها ومحور تقدمها ، وكانت تعليماته عليه السلام أن تدخل الفرق كلها مكة دون قتال وألا تسفك دما إلا إذا أكرهت على ذلك واضطرت إليه ، وكانت هذه التعليمات تمثل الأساس الأول لخطته .

كان الجناح الأيسر بقيادة الزبير بن العوام وكان عليه أن يدخل مكة من شمالها من ناحية كُدىّ .

وقاد خالد بن الوليد الجناح الأيمن ليدخل مكة من أسفلها فى اتجاه الليط .

وتولى سعد بن عبادة قيادة الأنصار الذين كُلفوا دخول مكة من الغرب فى اتجاه كداء .

وأسندت قيادة المهاجرين إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وكلف دخول مكة فى اتجاه جبل هند .

وكانت قيادة رسول الله مع جماعة المهاجرين .

وبينما المسلمون يتأهبون للتحرك سمع بعضهم سعد بن عبادة قائد جماعة الأنصار يقول : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا » وهذا القول كان يعنى مخالفة صريحة لأوامر النبى ونقضا واضحاً لتعليماته وميلا لا مبرر له عن أساس خطة التحرك الذى قرره رسول الله .

ولما سمع الناس ذلك أسرع عثمان وابن عوف وعمر إلى رسول الله وقالوا له : « إنا لا نأمن سعدا أن تكون منه فى قريش صولة » ، وأنشد ضرار بن الخطاب القرشى شعرا يستعطف به رسول الله أن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء :

إذ ينادى بذل حى قريش — وابن حرب بذا من الشهداء

وخاطب أبو سفيان رسول الله : « يا رسول الله ، أأمرت بقتل قومك فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا؟ أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم ! » .

ولما كانت تعليمات قيادة الجيش أمرا واجب التنفيذ وملزما لكل القيادات على مختلف مستوياتها ، ولما كان تصريح سعد بن عبادة يخالف تعليمات قائده المسئول عن الخطة وعن التنفيذ ويعارض خطة التحرك التى

أقرها رسول الله وأبلغها مختلف فرقه – فقد عزله رسول الله من قيادة الأنصار ، وأخذ منه الراية ودفع بها إلى ابنه قيس ، وكان أهدأ من أبيه أعصاباً وأكثر سيطرة على نفسه وقال له : «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة ، اليوم يوم المرحمة . اليوم أعز الله فيه قريشاً» .

وصدر الأمر لجميع الفرق بالتحرك ، ودخلت جيوش المسلمين مكة على حسب الخطة الموضوعة ولم تلق صداً أو مقاومة ، ودخلها رسول الله فى كتيبته الخضراء على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير .

ولم يحدث قتال إلا فى جبهة خالد بن الوليد ، إذ اعترض طريقه صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل فى جمع من قريش فى موقع يسمى الخندمة ، ومنعوه من الدخول وشهروا سلاحهم ورموا بالنبل ، فقاتلهم خالد وقتل منهم أربعة وعشرين رجلا من قريش وأربعة نفر من هذيل ، وانهزموا أقبح انهزام ، ولم يُقتل من رجال خالد إلا اثنان ضلا الطريق ، وانفصلا عنه ، وهما كرز بن جابر الفهدى وخالد الأشقر الخزاعى .

٦

أقيمت قبة لرسول الله على مقربة من قبرى عمه (أبو طالب وزوجه

خديجة ، وسئل : هل يريد أن يستريح فى بيته ، ألا تنزل منزلك ؟ »
فأجاب « وهل ترك عقيل لنا منزلا ؟ » .

ودخل رسول الله إلى القبة يستريح فيها والسعادة تغمر قلبه وقلب أصحابه المهاجرين فها هو ذا وهاهم أولاء قد عادوا إلى بلدهم أعزة منتصرين ، واتجهوا جميعا بعيونهم وقد ترقرقت فيها الدموع إلى السماء يعبرون عن شكرهم لله وخضوعهم له واعترافهم بفضله .

وخرج رسول الله بعد ذلك على ناقته ، وسار بها حتى دخل الكعبة ، فطاف بالبيت على راحلته ، وكان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب فى يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً »[١] وسقطت الأصنام . الواحد بعد الآخر ، سقط هبل والعزى ومناة وسواع وذو الكفين وغيرها .

والتفت رسول الله إلى من حوله وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره » .

ثم صلى رسول الله خلف المقام ركعتين ، ثم جلس ناحية من المسجد ، وبعث بلالا يستحضر عثمان بن طلحة ومعه مفتاح الكعبة ، فلما حضر فتح رسول الله بابها ، ودخلها فصلى فيها ركعتين ، ثم دفع إلى عثمان المفتاح وقال :

(١) الإسراء من آية ٨١ .

« خذوها يا بنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم » .

ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب قائلا : «أعطيتكم ما ترزأكم ولا ترزءونها » .

ثم أمر تميم بن أسد فجدد أنصاب الحرم ، وحانت صلاة الظهر فأذن بلال فوق ظهر الكعبة ، ثم وقف رسول الله وسط الناس وقال : « لا تُغْزى قريش هذا اليوم إلى يوم القيامة » ثم أردف مخاطبا مكة:

« إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » ثم قال : « إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام إلى يوم القيامة ، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ولا يحل لنا من غنائمها شيء ! »

واجتمعت قريش أجمع فى المسجد الحرام لا تحرك ساكنا تنظر ما يفعله الرسول بأصنامها ، فقد انتهى أمرها ، وغربت شمسها وزالت سطوتها وفقدت كل شيء : المكانة والمهابة والسلطة ! راح رجالها ينتظرون كلمة ينطق بها رسول الله تحدد مصيرهم ومستقبلهم ، ومر بذاكرتهم شريط طويل سجل كل ما اقترفوه فى حق المسلمين من أذى وتهديد وتعذيب وطرد وشرود وقتال ومؤمرات ! كانوا فى موقف المغلوب الذى ينتظر رأى الغالب ، وتطلع رسول الله إليهم وهو فى أوج انتصاره

وفكر هو الآخر . ولكنه لم يشأ أن يرد إليهم أفعالهم . فأصدر عفوه الشامل الكريم . ولأول مرة فى تاريخ الحروب السابقة على العهد الإسلامى واللاحقة عليه يصدر عفو من الغالب على المغلوب ! لم يحدث قط أن بلغ إحساس الغالب هذا المستوى الرفيع العظيم تجاه عدوه الذى قهره وغلبه وهزمه ! ولكن هذا العفو يصدر من محمد ، محمد بن عبد الله ، رسول الله إلى الناس كافة ، رسول الخير والأمن والسلام ، رسول الحب والأخوة ، رسول على خلق عظيم كريم كانت له خير صفات الإنسان ، واكتملت فيه كل ميزات البشر !

أصدر الرسول عفوه الشامل الكريم ، فلم يعد هناك تعذيب أو شرود للمغلوب ؛ وإنما أصبحت هناك إنسانية راقية تعامل البشر فى إحساس بشرى راق ! وأصبح الغالب والمغلوب إخوة فى الله يعيشون فى أمن ورخاء إحساسا منهم أنهم جميعا من آدم وآدم من تراب لا فرق بين أحد وآخر إلا بالتقوى والصلاح .

أصدر الرسول صفحه وعفوه فسأل الناس « ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ » ، وكانت فرصة اغتنموها ؛ لينالوا ما يرجونه من الصفح والسماح فقالوا : « أخ كريم وابن أخ كريم ! » وتحقق أملهم ونالوا ما كانوا يرجونه من الأخ الكريم ابن الأخ الكريم فقد جاءهم قول الرسول الكريم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ! »

وبهذا النطق الكريم عفا رسول الله عن قريش وعن أهل مكة

جميعا ، وأسدل بيديه ستارا كثيفا يحجب وراءه صفحات سوداء فى تاريخ قريش مع الإسلام والمسلمين ، وبهذا النطق الكريم والصفح العظيم أعطى رسول الله عليه السلام الإنسانية والبشرية والتاريخ مثلاً عاليا فى البر والوفاء وسمو ورقة الروح الإحساس وصدق الشعور !

وهكذا كان دخول مكة يوم الرحمة ، كما أراد له رسول الله أن يكون ، وخيم الهدوء والسكون والأمن والاطمئنان على مكة بلد إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل ، وأمنت أم القرى ، ورفعت منار التوحيد وأضاءت العالم بنور الإسلام الوضاء .

٧

لقد كان لفتح مكةآثار بعيدة المدى : فقد تطهرت الجزيرة العربية من عبادة الأوثان ، وجاءت الوفود إلى مكة من كل حدب وصوب تعلن دخولها فى الإسلام عن إيمان صادق وعقيدة راسخة وفهم وإدراك ووعى ، وأصبح النداء الخالد : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » — يعم الجزيرة العربية كلها بعد أن هدم خالد بن الوليد العزى وعمرو بن العاص سواع وسعد بن زيد الأشهلى مناة !

كان فتح مكة مثلا حيا للمعركة الحديثة ؛ فقد قام الفتح على مبدأين هامين أساسيين : هما السرية المطلقة والمفاجأة ، وقد اتخذ رسول الله جميع

الخطوات التى حققت هذين المبدأين ، وقد حرص أشد الحرص على ألا يكشف نياته ويظهر هدفه ، وكان سبيله إلى ذلك الكتمان الشديد حتى إنه لم يفصح عن هدفه وخطته إلى أبى بكر أقرب أصحابه الى نفسه وإلى عائشة أحب نسائه إليه ، وظل أمر الحملة سرا مكتوما حتى تمت جميع إجراءاتها ، وبث رسول الله عيونه لتحول دون تسرب أى معلومات عن خطواته القادمة ، فجعل العيون داخل المدينة ليقضى على كل خبر من أهلها إلى قريش حتى إنه لم يحقق رغبة حاطب بن أبى بلتعة من إخطار قريش بتجمعات المسلمين ، وبث دورياته خارج المدينة ليمنع القادمين إليها عن معرفة حقيقة التجهيزات ، ونجح رسول الله نجاحا كبيرا حتى إن قريشا لم تعرف نبأ الحملة إلا من أبى سفيان عندما أصبحت جيوش المسلمين على مرمى النظر .

ولعل الرسول فى هذا الشأن يكون فى مكان الصدارة بالنسبة للقيادات فى مختلف العصور والأزمان حتى فى عصرنا الحديث الذى لمعت فيه أسماء قادة عظام كنابليون وروميل ومونتجمرى ، فلم يكن فى استطاعة واحد من هؤلاء أن يحرك جيشا من عشرة آلاف راجل وراكب دون أن يدرى عدوه بهذا التحرك !

ولقد كانت ترتيبات الرسول وخطواته لتحقيق السرية أكبر محقق لحدوث المفاجأة التى اهتزت لها قريش بأكملها ؛ فقد تمت المفاجأة بصورة لم تسبق فى التاريخ القديم ، ولم تحدث فى التاريخ الحديث ،

وسُقِطَ فى يد قريش وأجبرت على الاستسلام من هول المفاجأة التى لم تعطها فرصة التفكير أو التخطيط للمواجهة أو للصدام أو حتى لمجرد المقاومة والصمود !

٨

لقد كان دخول الرسول فى مكة انقضاء لعهد ساد فيه الظلام وعم الفساد ، وانتشرت المعاصى، وبغى القوى ، وكان بداية لعهد جديد أشرقت فيه شمس الهداية ، وعلت كلمة الله ، وخيم الحب والإخاء والخير ، وعاش الناس حياتهم يعبدون الله لا إله إلا هو ، ويؤمنون بالقرآن كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وينسجون على منوال رسول الله القدوة والأسوة والمثل للناس أجمعين .

لقد كان فتح مكة يوم الفتح المبين

وكان أيضا يوم المرحمة .

* * *

صدر من هذه السلسلة :

١ – طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ – الفضاء ومستقبل الإنسان	د . فاروق الباز
٣ – شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ – أسس التفكير العلمى	د . زكى نجيب محمود
٥ – عالم الحيوان	د . محمد رشاد الطوبى
٦ – تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ – الفلسفة فى مسارها التاريخى	د . توفيق الطويل
٨ – حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ – علم التفسير	د . محمد حسين الذهبى
١٠ – المسرح الملحمى	د . عبد الغفار مكاوى
١١ – تاريخ العلوم عند العرب	د . أحمد سعيد الدمرداش
١٢ – شلل الأطفال	د . مصطفى الديوانى
١٣ – الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ – البطولة فى القصص الشعبى	د . نبيلة إبراهيم سالم
١٤م – عيون تكشف المجهول	د . محمد عبد الهادى
١٥ – الحضارة	د . أحمد حمدى محمود
١٦ – أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ – المساواة فى الإسلام	د . محمد بديع شريف
١٨ – القصة القصيرة	د . سيد حامد النساج
١٩ – عالم النبات	د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ – العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ – السينما فن	صلاح أبو سيف

العنوان	المؤلف
٢٢ – قناصل الدول	أحمد عبد المجيد
٢٣ – الأدب العربى وتاريخه	د . أحمد الحوفى
٢٤ – المكتبة والقارئ	حسن رشاد
٢٥ – الصحة النفسية	د . سلوى الملا
٢٦ – طبيعة الدراما	د . إبراهيم حمادة
٢٧ – الحضارة الإسلامية	د . على حسنى الخربوطلى
٢٨ – علم الإجتماع	د . فاروق محمد العادلى
٢٨م– روح مصر فى قصص السباعى	حسن محسّب
٢٩ – القصة فى الشعر العربى	ثروت أباظة
٣٠ – العمارة الإسلامية	د . كمال الدين سامح
٣١ – الغلاف الجوى	د . يوسف عبد المجيد فايد
٣١أ– محمود حسن اسماعيل	د . عبد العزيز الدسوقى
٣٢ – التاريخ عند المسلمين	محمد عبد الغنى حسن
٣٣ – الخلق الفنى	د . مصرى عبد الحميد حنوره
٣٤ – البوصيرى المادح الأعظم للرسول	عبد العال الحمامصى
٣٥ – التراث العربى	عبد السلام هارون
٣٦ – العودة الى الإيمان	أحمد حسن الباقورى
٣٧ – الصحافة مهنة ورسالة	د . خليل صابات
٣٨ – يوميات طبيب فى الأرياف	د . الدمرداش أحمد
٣٩ – السلام وجائزة السلام	عثمان نويه
٤٠ – الشريعة الإسلامية	المستشار عبد الحليم الجندى
٤١ – ثقافة الطفل العربى	جمال أبو رية
٤٢ – اللغة الفارسية	د. محمد نور الدين عبد المنعم
٤٣ – حضارتنا وحضارتهم	د . عبد المنعم النمر

الكتاب القادم

الفلسفة والحقيقة

د . عبد الحليم محمود

رقم الإيداع	١٩٧٨/٣٩٨٠
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٣٧٦ – ٣

١٤٠/٧٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)



هــذا الكتــاب

فى هذا الشهر الكريم نقدم للقارئ العربى
هذا المثل الرائع من ملاحم الجهاد فى سبيل
نشر الدعوة الإسلامية ، حتى يقف المسلم على
عظمة العسكرية فى الإسلام ، التى تتسامى
عملاقة أمام أية عسكرية معاصرة .

